جامعة زيان عاشور – الجلفة –
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم العلوم الانسانية
شعبة علوم الآثار

الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني (جامع كتشاوة انموذجا)

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الآثار الإسلامية

إعداد الطالبين :

- لعواس إلياس
- حمادو محمد أمين

إشراف الأستاذ :

د/ بديرينة ذيب

الموسم الجامعي : 2021/2020

اهـداء

إلى كل من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طرق العلم إلى القلب الكبير الذي أوصلني إلى ما أنا عليه والدي العزيز.

إلى أغلى ما في هذه الوجود إلى رمز الحب وبسلم الشفاء إلى القلبين الناصعين بالبياض – الأم التي أنجبت والأم الثانية ربت.

إلى نور شعاعي وأمل دنياي إخوتي البان وإلى أحبتي الذين شاركوني بالحياة فكانو لي نعم السند و الفرح

وإلى الدكتور والمشرف الذي كان خير عون لي وخير سند حفظك الله إلى كل من حملته ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي فهم في قلبي ولكم مني كؤوس الود على أحلى الورد.

اهـداء

الى من كلّله الله بالهيبة والوقار ..إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..

"أبـي العـزيـــز."

إلى ملاكـي في الحياة إلى معنى الحب ومنبع الحنان ..إلى بسـمة حياتي وسـر الوجود إلى روح قلبي

أمـــي الغـاليـــة.

إلى كل معلمي و أساتذتي من مرحلة الابتدائية إلى الجامعة.

إلى كافة أفراد عائلتي إخوتي وأخواتي

الى كل الأصدقاء الذين عرفتهم في مشوار الدراسة

لكل من ساندني ودعمني في إنهاء هذه المذكرة.

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"من لم يشكر الناس لم يشكر الله" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحمدلله على إحسانه والشكر له على توفيقه و إمتنانه لإنجاز هذا العمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه و على آله و أصحابه وأتباعه وسلم.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الدكتور المشرف الذي نكن له كامل الإحترام و التقدير ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت لنا عونا في إتمام هذا البحث.

ونتقدم بعميق الشكر والإحترام إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم وتكرمهم بتقييم هذا العمل وإلى جميع أساتذة قسم علم الآثار

مقدمة

مقدمة

حظيت الزخرفة الإسلامية باهتمام كبير من قبل الباحثين والمتخصصين والفنانينوذلك لأن الزخرفة تعتبر ميدانا هاما وفرعا متميزا من فروع الدراسات الأثرية، فهي فن قائمبذاته. وتعد الزخرفة نوعا من الفنون التطبيقية نظرا لطبيعتها التزيينية ولارتباطها بجوانباستعمالية؛ وخير مثال على ذلك العمارة الدينية "المسجد"، حيث أخذت الزخرفة مكانتها فيتزيين المساجد، أكسبها مما شخصيتها الإسلامية المتميزة.

حيث أن الزخارف الإسلامية تتميز بأنها فن فريد من ناحية الخصائص والمميزات التي جعلته أشهر الفنون الموجودة على الساحة على مر العصور المختلفة والتي ظلت شامخة حتى الآن ولها ذوق وطابع خاص ومميز، ومن خلال مقال اليوم سوف نتعرف أكثر على فن الزخارف الإسلامية وأنواعها المختلفة.

يعتبر فن الزخرفة الإسلامية من أرقى الفنون التي عرفها العالم والتي عبرت بشدة عن الدين الإسلامي بدون أدنى تصوير عن الإنسان أو الطبيعية، حيث أنه أكثر ما يميز هذا الفن عن غيره من فنون الزخرفة المختلفة.

حيث أن زخارف الفن الإسلامي استخدم الأشكال الهندسية الدقيقة جدًا والمجسمات التي يتم تطعيمها من خلال الفسيفساء والأحجار الكريمة الزبرجد والرخام، والتي كانت تستخدم في تزين قصور الخفاء في العهود القديمة، مثل عهد الدولة العباسية والدولة الأموية، مما يعطيها شكلًا جماليًا مميزًا.

وبعد ذلك دخل التزيين من خلال الزخارف الإسلامية إلى المساجد في مختلف أنحاء العالم، مما حقق منها متاحف معمارية عريقة تكون حافلة بالإبداع والسحر.

ويعتبر مسجد كتشاوة شاهدا من الشواهد البديعة على الحضارة الإسلامية في الجزائر، التييرجع تاريخها إلى العهد العثماني، والظاهر أن لهذا المسجد ملامحا زخرفية أكدت ولا تزال تؤكد قوة الانتماء للثقافة الإسلامية.

أهمية الموضوع وأهدافها :

تكمن أهمية الموضوع في: معرفة التطور التاريخي للزخارف الاسلامية و كذلك أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني ومدة فعالية الفن الاسلامي.

ولقد وضعنا مجموعة من الأهداف التي نحاول من خلالها الوصول إلى حقائق تاريخية من أجل بناء تصور كامل وكان أهمها: الاسهام ولو بجهد قليل ومتواضع من أجل الاثراء المعرفي وكذا تسليط الضوء وإبراز الجوانب التي ظلت خفية فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لفهم الواقع، ومحاولة إعطاء صورة موضوعية عن الزخارف الاسلامية ومدى تأثيرها في مختلف الشرائح الزمنية.

أسباب اختيار الموضوع :

سبب اختيارنا لهذه الدراسة هو البحث من أجل معرفة التطور التاريخي للزخارف الاسلامية بصفة عامة و الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية بصفة خاصة من أجل الكشف على العناصر المكونة في المجتمع الجزائري في الحقبة العهد العثماني من زخارف و فنون اسلامية ومدى تأثيرها و تأثرها في المجتمع لأنه لم تجرى دراسات موسعة إذ يغلب عليها طابع التحيز و قلة الموضوعية بالاضافة إلى قلة الدراسات الأكاديمية.

الاشكالية :

ومن خلال ما سبق ارتأينا أن نضع الاشكالية التي سنحاول من خلالها الوصول إلى العديد من النتائج التي تخص الدراسة وهي كالتالي :

إلى أي مدى ساهمت الزخرفة في اضفاء دلالات فنية على مسجد كتشاوة بعد ترميمه ؟

الاسئلة الفرعية :

- كيف كانت طبيعة الزخارف الاسلامية في العهد العثماني ؟
- وما مدى تأثيرها على اوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني ؟
- كيف كانت تركيبة الزخارف العمائرية ؟

خطة البحث: تطرقنا إلى ثلاثة فصول :

الفصل التمهيدي : الإطار التاريخي والجغرافي لمدينة الجزائر

- التواجد العثماني في الجزائر
- الأوضاع السياسية
- الاوضاع الاقتصادية
- الاوضاع الاجتماعية
- الاطار الجغرافي لمدينة الجزائر

الفصل الأول : التطور التاريخي للزخارف العمائرية الاسلامية

- تعريف الزخارف العمائرية
- خصائص الزخرفة
- التطور التاريخي للزخارف الجصية
- التطور التاريخي للزخارف الخشبية

- التطور التاريخي للزخارف الرخامية
- التطور التاريخي للزخارف الخزفية

الفصل الثاني : جامع كتشاوة

- موقع جامع كتشاوة
- تاريخ انشاء الجامع
- التجديد
- الدراسة المعمارية والفنية لجامع كتشاوة
- زخرفة المسجد

المنهج المتبع في الدراسة :

أما المنهج المتبع فإن طبيعة الموضوع هي التي حددته ، لذا اعتمدتا في دراستنا هذه على منهجين : المنهج التاريخي الوصفي الذي ساعدنا في سرد الأحداث ووصفها وصفا دقيقا، أما المنهج الثاني فهو منهج التحليلي الذي مكننا من فهم الوقائع والتعامل معها بشكل حذر من خلال تمحيصها وتحليلها.

المصادر و المراجع :

- مرزوق بتة، مراد لكحل، العناصر الزخرفية في العمارة الاسلامية خلال العصر الوسيط بين الوظيفة الجمالية والأدوار المعمارية، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2، لأبو قاسم سعد الله، وكتاب تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م – 1962م)، ج1، لصالح فركوس، وكتاب تاريخ الجزائر في العهد العثماني لنص الدين سعيدوني، وكتاب الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني لأحمد مريوش.

الصعوبات :

ان كان لابد من الحديث عن الصعوبات التي واجهتنا فهي ضيق الوقت وكذا قلة المادة العلمية في الجانب الاجتماعي وصعوبة التوفيق بين الدروس وكتابة المذكرة.

فصل تمهيدي :

الاطار التاريخي و الجغرافي

الجزائر

1-التواجد العثماني في الجزائر

لم يكن التدخل العثماني في المغرب العربي امرا متوقعاً، ولم يكنيدور في أروقة الدولة العثمانية نفسيا ذلك الأمر، فضلاً عن ان التدخللم يكن نتيجة وتصميم عثمانيين، بل حكمت الأمر الظروف السائدة فيالمغرب العربي بعد غزوات الأسبان المتكررة على سواحلها، وظهور عروجللدفاع عليها، وانقاذ المسلمين من سيطرتهم حتى وفاته، وتسلم أخوه خيرالدين السلطة من بعده، وطلب من السلطان العثماني سلهم الأول الانضواءتحت حكمه نتيجة مبادرة اشترك فيها أهل الجزائر، كرد فعل منهما علىالتدخل الاسباني، وبعد استتاب الأمر وتوحيد الجزائر تحت مسمى واحد،أصبحت الجزائر تحكم كدولة كبرى شأنها شأن أية دولة أخرى واخذحكامها على امتداد مراحل الحكم حتى عهد الدايات يطورون عمل أجهزتهاالإدارية، والمؤسساتية، واستكمال متطلبات الدولة الاقتصادية،والاجتماعية وتنظيمهما حسب الشريعة الإسلامية دون التدخل بالنسيجالاجتماعي أو اللحمة المغاربية، بل فضل العثمانيون الاهتمام بأنفسهموالحفاظ على مكانتهم في المجتمع الجزائري، من خلال قمع الثورات التيكانت تحصل من قبل أبنائهم الگوغول.[1]

وكذلك المشاكل التي تحدث بينرياس البحر والانكشارية للسيطرة على الحكم، أما علاقتهم بالدولة العثمانيةالتي باتت محدودة بعد فقد الأخيرة عدداً من أراضيها لروسيا والنمسا،وأصبح الرابط الديني هو الذي يربط بين الاثنين، بعد ان فضلوا إرسالالهدايا والأموال وجلب الانكشارية لمساعدتهم على إدارة دفة الحكم دونتدخل الدولة العثمانية مباشرةٍ في حكم الجزائر، إذ ان الاتفاقات الرسمية بين الجزائر والدول الأوربية كانت تجري باسم الحكام الجزائريين وليس باسم السلطان العثماني وهو ما ولد وضعاً دولياً خطيرا كانت نتائجه سلبية على الجزائر.

[1] - أسس العرب مدينة الجزائر سنة 935م وأسموا الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانييا ، أما تسميتيا القديمة فكانت ايكوسيموبي تسمية

ولاسيما بينها وبين فرنسا التي انتهت باحتلال الأخيرة في 5تموز1830وفرض معاهدة مع الداي حسين لتسلهم وانقاذ نفسه ومعيتهونستطيع أن نقسم الأوضاع الجزائرية في العهد العثماني إلى:

1-1- الأوضاع السياسية

أطلق على الأرض الممتدة بين حدود تونس والمغرب اسم الجزائر،وهي مؤلفة من مجموعة جزر بحرية، وكانت تدعى في التاريخ العربي القديم بالمغرب الأوسط واستمرت تلك التسمية حتى سنة 1500م،[2] وقبل وصول العثمانيين إلى المنطقة، تعرض المغرب العربي عامة والجزائربخاصة إلى التهديد الاسباني بعد ان تمكنوا من إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس 1492م، واحتلوا أجزاء واسعة ومهمة من الجزائر بين سنتي 1513-1505وادخلوا تحت سيطرتهم عددا من المدن الساحلية الواقعةعلى البحر المتوسط التي كان من بينها المرسى الكبير ووهران وتلمسان وبجاية، إذ لم تكن فيها أية سلطة حكومية موحدة، بل كانت مجزأة إلى إقطاعيات مستقلة تتقاسمها إمارات البدو الرحل، وكان عدد من المدن يحكمها طغاة مولعين بجمع الذهب مع قبولهم الخضوع للمحتلين الأسبان، الذين تمكنوا من تحويل الجزائر إلى قاعدة للمرتشين والجواسيس والحكام الطامعين في السلطة،إذ لم تكن في المنطقة أية قوى بوسعها التصدي لهم وايقافهم حتى مجيء الإخوة عروج وخير الدين اللذين كانا يقومان ب نشاطهما البحري في بحري ايجة والمتوسط حتى وصلا إلى الجزائر، وبذلك بدأ عهد جديد من تاريخ الجزائر والمغرب العربي على حد سواء.

تولى مهمة الدفاع عن الجزائر المجاهد عروج الملقب بربروسا حتى استشهاده سنة 1518م، إذ تولى الحكم بعده أخوه خير الدين الذي استمر في الجهاد وادارة شؤون البلاد، وقد أدرك ضعف موقفه السياسي في البلاد بسبب عدم وجود قاعدة شعبية له، لما أحيط به

[2]- أسس العرب مدينة الجزائر سنة 935م وأسموا الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانييا ، أما تسميتيا القديمة فكانت ايكوسيموبي تسمية فينيقية ، بيروت ، أوراق شرقية لمطباعةوالنشر والتوزيع ، 2000، ص 188.

بعدد كبير من الأعداء، فضلا عن انتفاضات المدن الساحلية الجزائرية ونقص الذخيرة الحربية والمقاتلين الأكفاء، مما دفعه إلى تحرير رسالة باسم أهالي مدينة الجزائرإلى السلطان العثماني سلهمالأول 1520-1512يشرح فيها الأوضاع في الجزائر وخطر هجمات الأسبان وتدخلهم لنجدة الزعماءالمحليين الموالين لهم والرغبة الأكيدة لسكان الجزائر في الاعتماد على الدولة العثمانية كحامية للجزائريين، والسبب الذي دفعو لطلب المساعدة منها كونها اكبر دولة إسلامية آنذاك، ولاسيما بعد سيطرتها عهى بلاد الشام ومصر والهمن بين سنتي1517 -1516.[1]

وافق السلطان سلهم الأول بإعلان خير الدين تبعيته للدولة العثمانية، إذ ان خضوع الجزائر كان يؤمن حدود مصر الغربية، فضلاً عن توسيع أملاك الدولة العثمانية دون بذل جيد أو مبالغ مالية، وشكل ذلك انذارا لحاكمي تونس وتلمسان بقوة وهيبة الدولة العثمانية من خلال الرسائل المرسمة من السلطان العثماني إليهما.

قام السلطان سلهم الأول بإرسال نحو2000جندي مسلح بالبنادق وعدد من رجال المدفعية، وفتح باب التطوع للراغبين من أهالي الأناضول في الذهاب إلى الجزائر، مقابل تحمل الباب العالي تكاليف السفر واعطائهم امتيازت تضاهي امتيازات الانكشارية الذين كانوا يمثلون الجيوش الممتازة التي تساق من الطبقات الفقيرة في الأناضول ثم تصبح طبقة ارستق ارطية وامارة في الجزائر.

أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به منذ ذلك التاريخ، بعدما كان مقتصرا فقط على المدينة التي أصبحت مركزالحكومة العثمانية، وادخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية إلى المغرب العربي الحديث بعد القضاء على الفوضى

[1]- ارجمنت گوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ترجمة عبد الجميلالتميمي ، تونس منشورات الجامعة التونسية ، 1970، ص 21.

الداخلية التي كانت سائدة في اغلب مناطق الجزائر وتوحيد القوى لمواجهة الخطر الأوربي المحيط بهم.

أعلنت تبعية الجزائر رسمياً للدولة العثمانية بمنح خير الدين لقب(بيگلربيك) أو بايلر باي بمعنى (أمير الأمراء) ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه، وبذلك تكونت إيالة (ولاية) الجزائر، ودعي للسلطان العثماني على المنابر وضربت السكة باسمه، وخضعت إدارة الجزائر لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاقات الغرب،وبذلك نظم خير الدين الجزائر بعد إن أصبحت إيالة عثمانية تنظيماً عسكرياً، لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م وتألفت من المشاة فقط لان الفرسان كانوا يؤخذون من بين قدامى الأغوات أو أبناء البلاد الأصليين للحفاظ على السلطة فيها.

اعتمدت الإدارة العثمانية في الجزائر خلال عهد البگلربيگية ما بين سنوات 1518-1587على طائفة رياس البحر الذين تولى عدد منهم مناصب عليا في الدولة قسمت إيالة الجزائر خلال الحكم العثماني إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي :

1-إقلهم قسنطينة في الشرق.

2-إقلهم وهران في الغرب وعاصمته معسكر ثم وهران.

3-إقلهم التيتري وعاصمته مدية التي تقع في وسط الإقلهم.

وكانت تلك الأقالهم مستقلة في ميزانياتها ولكل إقلهم عملة خاصة بهوله مجلس ان استشاريان إلى جانب الحاكم (مجلس الشورى والديوان).[1]

لذلك قسم عهد حكم العثمانيين في الجزائر إلى أربعة عهود هي:

1. عهد البگلربگية . 1518-1587

[1]- شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص 101.

2. عهد الباشوات . 1587-1659
3. عهد الأغوات . 1659-1671
4. عهد الدايات . 1671-1830

يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميز بكثرة الإعمال العمرانية والإدارة السميمة وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة اليولداش،ومن ابرز آثاره توحيد الجزائر سياسياً.

أما عهد الباشوات، فقد كان على رأس الدولة ولا تعينه الحكومة العثمانية لمدة (3)سنوات يمنح لقب (الباشا)، وتميز بازدهار القوة البحرية الجزائرية وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية.[1]

وبرز في عهد الأغوات أن استأثر اليولداش فيه بالحكم، وكانواينتخبون من بينهم آغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره، وتميز ذلك العه دبالمحاولات المستمرة لفصل الجزائر عن الحكم العثماني.

وتمثل عهد الدايات بعودة رياس البحر الذين تغلبوا على اليولداش وأقاموا حكما هو نظام الدايات، وذلك بانتخاب دايالبلاد من قبل المجلس على أن يستمر بالعمل مدى الحياة لحين سقوطالجزائر بيد فرنسا سنة 1830م.

أما الموظفون الذين كانوا يديرون إعمال الايالة فهم على طبقتين :

الطبقة الأولى تضم الداي والموظفين وهم:

1-الخزناجي : وهو المختص بالإشرافعلى الخزينة وايداع مصادر دخلالدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة، يساعده كاتب الدولة وأمين السكة،فضلاً عن أجيرين من اليهود

[1]- احمد إسماعيل راشد ، تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا – تونس– الجزائر- المغرب- موريتانيا)، بيروت، 2004، ص 132.

احدهما يدعى العيار للتحقق من النقود المشكوك فيها، والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها.

2-بيت المالجي : وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استبعادهم أو فقدانهمأ وفي حالة عدم وجود ورثة شرعيين لهم، يعاونه في تلك المهمة قاض يعرف باسم الوكيل وكاتبان يعرفان باسم العدول.

3-خوجة الخيل : وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواشي الدولة التي يقدمها الأهالي كضرائب عينية تفرض عليهم، كذلك يقوم بالإشراف على تجنيد الفرسان (المخزن) المتعاونين مع السلطةالمركزية.

4-وكيل الحرج : الموظف المسؤول عن مراقبة النشاط البحري واعمال الترسانة وتوزيع الغنائم.

5-آغا العرب : قائد فرقة الانكشارية وفرسان المخزن الصبائحية المعسكرين خارج مدينة الجزائر، وهو من يقوم بمراقبة دار السلطان وملحقاته، وكذلك السهول المعروفة بوفرة إنتاجها الزراعي والحيواني الذي تعتمد عليه الجزائر.

أما الطبقة الثانية من الموظفين، فقد شملت المساعدين مثل : كتاب الدولة وموظفي الخدمات الاقتصادية والاجتماعية ورجال حفظ الأمن والإشراف على تطبيق القوانين والإحكام المعمول بها، وممن يقومون بالإشراف على الديوان المحلي لكل من بايلك (الأقاليم) الشرق والغرب والتيتري.[1]

2-1- الأوضاع الاقتصادية

كان اقتصاد الجزائر في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن السادس عشر حتى القرن السابع عشر، بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا ادوارة مهمة في

[1] - شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، 110.

زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعة والتجارة، ومن ثم التقهقر الذي أصاب الاقتصاد الجزائري بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى الاحتلال الفرنسي 1830، الذي كان سببه الأوبئة والطاعون وسنوات القحط التي تعرضت إليها البلاد، وتأخر طرق وأساليب الزراعة والصناعة التي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية إلى صناعية، وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي الحياة الاقتصادية[1] تتراوح نسبة سكان الجبال والأرياف ما بين (90-95%) من إجمالي سكان الجزائر البالغ عددهم نحو(2-3) ملايين نسمةخلال المدة المبحوثة، وهذا ما يؤشر لنا أن النشاط الزراعي بمختلف فروعه هو السائد، إذ كانت الطرق التقليدية التي عرفتها الجزائر منذ ألاف السنين هي المستعملة في الزراعة، (المحراث والمنجل)، أما نظام الإرواء الزراعي فكان يعتمد على مياه الأمطار لعدم توفر الخزانات والقنوات الإروائية فضلا عن أن معظم الأنهار موسمية الجريان، ولذلك دأبت القبائل على حرث جزء من أراضيها، بينما تترك الباقي بورا وفقا لطريقة المناوبة.

أما تربية الماشية، فكان يجري الاهتمام بها بشكل كبير، ولاسيما الأغنام، إذ كانت تعد الإنتاج الأساسي للبلد، وتدر على الفلاح والبلد ثروة كبيرة، تقدر بنحو (7-8) ملايين رأس، مع توفر الماعز والأبقار والجمال والخيل.

اعتمدت الجزائر في تحصيل مواردها الداخلية على الزكاة التي تفرض على الماشية بالنسبة للمسلمين والضرائب بالنسبة لغير المسلمين، وهي بنسبة (11%) كما فرضت الضرائب على الجلود والعسل والغنائم التي يكسبها البحارة، وكانت نسبتها بين 5-8%، كذلك فرض رسوم على الأموال المتروكة بدون وريث وعلى الميناء وأماكن الترف واللهو، وهناك رسوم طوابع وغرامات مالية لم تخضع لنظام ثابت ومحدد، بل كانت تختلف من مرحلة إلى أخرى، وما عرف عن الحكر وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون نتيجة استثمارهم الأراضي التي تملكها الدولة فضلا عن ضريبة الخراج التي يدفعها أهل الذمة.[1]

[1]- -عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق ، جامعة دمشق، 2008، ص 181.
[1]- عقيل لطف الله نمير، مرجع سابق، ص 182.

وجدت فرقة خاصة تعرف ب(المحلة) أو التحصيلات المحلية، وهي المكلفة بجباية أموال الزكاة وغيرها من أنواع الضرائب، فتبدأ عملها بينشهري أيار/مايو وتشرين الأول/أكتوبر وتنقل بين القرى والقبائل، تجمع الضرائب المفروضة ويتحمل الأهالي نفقات إطعامها ومصاريفها.

أما الواردات الخارجية للدولة، فكانت تأتي عن طريق الغنائم التي يحصل عليها البحارة عبر المعارك البحرية التي يخوضونها، والهدايا والحمولات والجزية التي كان يدفعها الأوربيون، يضاف إليها المساعدات العثمانية، فضلا عن الموارد التي تحصل عليها الدولة عبر التجارة من خلال الموانئ الجزائرية عند تصدير المنتجات الجزائرية إلى خارج البلاد، وكذلك عن بيع العبيد وفداء الأسرى.

كانت الجزائر تشكو من نقص في الطرق والمرافق الضرورية لإيواء المسافرين الأمر الذي يمثل عائقا في تنظيم التبادل التجاري على المستوى الخارجي، كما أن عدم تنويعها يجعل من غير المفيد نقل السلع لمسافات بعيدة وبيعها بالأسعار السائدة آنذاك، وان لا يتحمل التجار عناء نقلها، واعتمدت التجارة على أساس المقايضة في أغلب الأحيان.

كانت الجزائر تسك النقود بثلاثة أنواع هي :1 العملات الذهبية : السلطاني، ونصفه وربعه والمحبوب ونصفه وربعه.[1]

إن أهم ما ميز العملة الجزائرية في العهد العثماني، عدم استقرارها وصعوبة تحديد قيمتها بسبب تذبذب الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد، مما ساعد على ندرة المعادن الثمينة، وتسبب في تدني القدرة الشرائية على الرغم من تدني أسعار الغلة، وزاد من ذلك رواج أعمال تزوير العملة، ولاسيما في بلاد القبائل، على الرغم من وجود عقوبة الإعدام حرقا التي كانت تطول المزورين، والعقوبات الجماعية ضد القبيلة التي يثبت تورط أحد أبنائها في عمليات التزوير بعدما يكون محل بحث ولم تستطع الدولة الوصول إليه.

[1] - احمد إسماعيل راشد، مرجع سابق، ص 136.

يبدو إن عدم الاهتمام في الجانب الاقتصادي من قبل الحكام العثمانيين باعتماد الوسائل الحديثة في الزراعة، قد سبب عدد من المشكلات التي طالت الفلاحين والتي بدورها أثرت سلبا على الإنتاج الزراعي والواقع التجاري بالوقت نفسه، لارتباط الزراعة بالتجارة المحلية والخارجية، وبذلك كانت هناك إخفاقات اقتصادية امتدت طوال العهد العثماني.

3-1- الأوضاع الاجتماعية

يعكس التركيب الاجتماعي للجزائر التنوع العرقي من حيث الأصول للمجتمع الجزائري وبوجود الأتراك مما زادها لحمة مهمة للامتزاج الثقافي الموجود فيها من قبل، وقد تكونت عدة فئات اجتماعية عدة خلالها، وهي[1]:

1- الفئة الحاكمة : وتشمل الأتراك من قوات الانكشارية وموظفين وقادة (رياس البحر) وعلى الرغم من قلة تلك الفئة التي لم يتجاوز عددها حتى سنة 1830م أكثر من (20) إلف نسمة، إلا أنها كانت تسيطر على سدة الحكم ولها نفوذ واسع بحكم تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة، وإبعاد أهل البلاد عن تلك المناصب، والعمل على إبقا لهم بعيدين عن منافستهم، فضلا عن استقدام أبناء جلدتهم من الأناضول في حالة وجود نقص في إدارة البلاد، وبسبب ذلك ساد العداء بين أهل البلاد والفئة الحاكمة من الأتراك.

2-الكراغلة : تكونت تلك الشريحة نتيجة زواج إفراد من الجيش الانكشاري بالنساء الجزائريات، وظهرت تلك الطبقة للمرة الأولى في المدن التي تمركزت بها الحاميات العثمانية، وقد ساعت العلاقة بين الأبناء والإباء بسبب ارتياب الإباء منهم بعد تزايد إعدادهم، مما دفع الحكام العثمانيين في الجزائر إلى إبعادهم عن المناصب الحكومية المهمة في الجيش والإدارة، كما عملت السلطات على منعهم من دخول الديوان أو

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1987، ص 8-30.

في الأوجاق، فأصبح المجال الوحيد الذي يعملون فيه هو النشاط البحري، كون تلك المهمات بعيدة عن التأثير في تغيير السلطة التي كان يتمتع بها الأتراك .

3-المهاجرون من الأندلسيين، ويطلق عليهم اسم (المورسيكيون): وهم الذين وفدوا إلى الجزائر في عهد خير الدين وخلفائه، وبعد استقرارهم أسهموا في دور فعال في تطو في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية من خلال توسيع وبناء المدن في الجزائر، وإنشاء مدن جديدة، إذ لم يكن بإمكانهم الالتحاق بالجيش أو الوظائف العليا، لذلك اتجهوا إلى ممارسة عدد من الصناعات المحلية منها صناعة البارود والخزف وغيرها بفضل الأموال التي جلبوها معهم من الأندلس.[1]

4- العبيد : الفئة المسحوقة التي تشمل نسبة كبيرة من الشعب الجزائري، ولاسيما منهم الذين تعود جذورهم وأصولهم إلى السودان، إذ كان التجار (الطوارق) يحصلون عليهم بالمقايضة مقابل البضائع التي يبيعونها إليهم، وتصل إعدادهم إلى مابين (150-500) عبد سنوية، وكانت الفئات الحاكمة، وغير الحاكمة تمتلك العبيد كنوع من التباهي بالثراء.

5-اليهود : كانوا عنصرة اجتماعية لا يمكن تجاهله في الجزائر، وهم موجودين منذ أزمان بعيدة، وعرفت الجزائر زيادة في عددهم بهجرات من مناطق أوربية مختلفة، لكن أهم الهجرات كانت من الأندلس وجزر البليار الاسبانية، وارتفع شانهم الاقتصادي من خلال بيع وشراء الغنائم البحرية، وكذلك السمسرة والوساطة التجارية التي كانوا يمارسونها، وهم ذوو السمعة السيئة في المجتمع الجزائري لكسبهم الفاحش غير المشروع وتسلطهم على أبناء البلد، وكانت إعدادهم تتزايد حتى نهاية القرن

1- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 33.

الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، بسبب تقربهم من حكام الجزائر وعملهم المربح.[1]

يبدو من خلال استقراء الجدول السابق، أن حكم الأتراك لم يكن يشكل تهديدا لعدد من القبائل التي بقيت تمارس أعمالها بشكل عادي دون التأثير فيها كلحمة متماسكة تمتلك الأراضي والإمكانات الاقتصادية، وسبب عدم محاولة ربطها بالحكم العثماني، خوفا من ثوراتها التي إذا ما اشتعلت فلن تتوقف، وتجمع خلالها كل المجتمع حولها دون استثناء، وهو ما كان يحصل على مر تاريخ المغرب العربي.

ولتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية في الجزائر يمكن تقسيمها إلى:

الجهات/ القبائل	مدينة الجزائر	تيتري	وهران	قسنطينة	المجموع
المخزن	19	14	46	47	126
القبائل الخاضعة	11	23	56	14	104
الزعامات نصف المستقلة	20	12	29	25	86
القبائل المستقلة	23	13	26	138	200

- النظام القضائي كان النظام القضائي في الجزائر خلال الحكم العثماني متصلا بالحاكم، إذ يعد مصدر السلطة السياسية والقضائية، ويمكن تفويض السلطات إلى البايات والقضاة، لكن إذا كانت الأحكام التي يصدرها القضاة لا تحظى بالموافقة من قبل الحاكم فبإمكانه أن يسحب التفويض من القاضي أو الباي، وبما إن الحاكم العثماني كان من المعتنقين للمذهب الحنفي، وسكان الجزائر يتبعون المذهب المالكي (ذه) فقد جرت العادة على تعيين المفتي الحنفي من قبل السلطان العثماني، ويقوم حاكم

[1]- كمال صحراوي ، الدور الدبموماسي لبيود الجزائر في أواخر عيد الدايات ، رسالة ماجستير، معيد العموم الاجتماعية والإنسانية، 2008، ص 26-29.

الجزائربتعيين المفتي المالكي، لذلك كانت هناك محكمة لكل مذهب ومن لا يقبل بحكم المفتي فبإمكانه مراجعة المجلس الكبير الذي يضم علماء المذهبين والمنسوبين إليهما وهم يجتمعون كل يوم خميس في الجامع الكبير لتدقيق كل الأحكام الصادرة قبيل تلاوتها، وأعضاء المجلس يستمعون إلى حكم الحاكم فإذا كان القرار غير مطابق للشريعة ينقض ولا يعمل به، أما إذا كان المتخاصم ون من غير المسلمين فان القضاة يخرجون إلى ساحة الجامع لكي يستمعوا للخصومة، ولم يكن القضاة يحصلون على المرتبات، إنما كانوا يستحصلونها من الرسوم والمبالغ المالية عن كل عقد يسجلونه ويضعون عليه ختمة، كما إن هناك محاكم خاصة بالأسرى ال نصارى ومحاكم خاصة باليهود وفي حالة حدوث خصومة بين النصارى والمسلمين فان الحاكم هو الذي يفصل فيها توخيا لعدم حصول مشاكل اجتماعية داخل المجتمع الجزائري.[1]

أما بشأن الجرائم الجنائية مثل (القتل والسرقة والخيانة والتآمر) فقد كانت من اختصاص الحاكم في دار السلطان أو عاصمة داي الجزائر ويقوم رجال الأمن المتكونون من (11) شاوش بتنفيذ أحكام الإعدام في المسلمين غير الأتراك، وكذلك العبيد والنصارى الموقفين في السجن، أما إعدام اليهود فكان يتم حرقة، وإذا ما ارتكبت جريمة قتل لأحد الأتراك فان عقوبة القاتل نكون برميه من المرتفعات إلى البحر، وإذا لم يتم التعرف على القاتل فان سكان الحي يتعرضون إلى العقوبة الجماعية، أما أذا ارتكب احد الأتراك جرماً فيعاقب ويعاقبون سرة في دار آغا الانكشارية حتى لا تهان كرامتهم، أما عن ارتكاب جريمة قطع الطرق أو السطو المسلح، فقد كان الحكم على الفاعل بالصلب على كلاليب من حديد، وفي حالة الزنا يصار إلى رجم المرأة الزانية بالحجارة حتى الموت حسب الشريعة الإسلامية، وإذا كانت الزانية مسلمة والزاني نصراني أو يهودي فتوضع الزانية في كيس يخاط عليها ثم ترمي في البحر.

[1] - كمال صحراوي ، مرجع سابق، ص 30.

- الأوقاف (الأحباس):تعد الأوقاف من المظاهر الحضارية الإسلامية، فهي تعبر عن إدارة الخير في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع، وقد تطورت إدارة الأوقاف في العهد العثماني، كنتيجة سياسية واقتصادية، وتقوم فكرة الأوقاف على مبدأ شرعي وعلى أسس قضائية ملزمة ترتكز عليها إدارة الأوقاف، وتلك الأسس تكون ملزمة من الأهالي، ويلتزم باحترامها الواقف والمستفيدون منه، ولكن تلك الأسس لم تكن محل احترام دائم، فقد يسيء الوكيل التصرف في الوقف، وقد تتدخل الدولة فتحول فوائد الوقف إليها، لذلك كان إهمال الأوقاف أو سوء إدارتها محل شكوى من المسلمين، ولاسيما علماء الدينكانت الأوقاف الجزائرية تدار من قبل موظفين يدعون بالوكلاء أو النظار) تعينهم السلطات العمومية ممثلة في الباشا أو السلطة القضائية ممثلة بالمفتي، ويتم اختيارهم حسب سمعة الشخص الاجتماعية من جهة تقواه أو نسبه، وهذا التعيين ليس دائمية، إذ يمكن نقضه حينما يظهر ما يخل بالوظيفة من سوء إدارة أو إهمال، ويختلف الوكلاء في مسؤولياتهم حسب أهمية المؤسسة الوقفية المسندة إليهم من حيث عدد العقارات المحبسة، وكانت وظيفتهم تشمل إصلاح وصيانة المرفق المحبس ودفع أجور العمال وجمع مداخيل المرافق من إيجار واستغلال والأوقاف نوعان عامة وخاصة، فالعامة : هي أوقاف بيت المال والطرقات والعيون والأندلسيين والإشراف، أما الخاصة كأوقاف الجامع الكبير والمساجد والزوايا والقباب، وهناك أنواع خاصة بالأوقاف للمؤسسات الدينية منها. [1]

أ- مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين : وهي أوقاف مدينتي مكة والمدينة وتعد من أهم المؤسسات من حيث عدد أوقافها، والموارد التي توفرها.

[1] - ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، 132

ب- مؤسسة أوقاف أهل الأندلس : وهي تتجاوز (101) وقف تعود فائدتها إلى الأسر المنحدرة من أصل أندلسي، وقد نشأت سنة 1572 من قبل أغنياء الجالية الأندلسية الذين كانوا يوقفون الأملاك لإخوانهم اللاجئين الفارين من الأندلس.

ت- مؤسسة سبل الخيرات: تضم جميع المساجد الحنفية وعددها 14 مسجدا.

ث- مؤسسة أوقاف الأشراف : تحتوي على عدد من المراكز الوقفية ، وتضم جماعةالأشراف بمدينة الجزائر نحو (300) أسرة، تشرف على سير تلك المؤسسات الخيرية، إذ أنها لا تحظى إلا بتأييد الرجال الطيبين، والمشرعين في جميع البلدان وكان هدفها أنساني أن يرمي إلى التخفيف من المشاكل التي يعانيها المجتمع الجزائري، وتعمل على إسعاد المجتمع وتهدف إلى التخفيف من الجنوح الاجتماعي، كذلك كانت تلك المؤسسات الخيرية مسؤولة عن دفن الفقراء المسلمين وتوزيع الصدقات بينهم، إذ تقوم بتوزيع الإعانات بين أكثر من (200) فقير كل يوم خميس.

يبدو إن أهمية مؤسسة الأوقاف في الحياة الاجتماعية للجزائر العثمانية كانت خدمة للدين الإسلامي، والتعليم كما كانت عنوانا للتضامن الاجتماعي والتقارب الأسري بين إفراد المجتمع وانتشال المعوزين والفقراء من بؤسهم، وهي حالة من التعايش المذهبي التي دعا إليها أئمة المذهبين الحنفي والمالكي.[1]

3 – الأوضاع الصحية : كان عدم الاهتمام بالشؤون الصحية من قبل العثمانيين سببا في عدم بناء المستشفيات لذلك، بقي الجزائريون يعتمدون على الزوايا (32) التي كانت تأوي العجزة والمرضى وتداويهم حسب ما كتبه ابن سينا في العلاج بالأعشاب المعروفة بين الناس، ولم تكن هناك مهنة للأطباء، إنما الذين يقومون بالعلاج هم غالبا يداوون مرضاهم مستخدمين الجن والأرواح، وليس بالعلم، وأما أعمال الجراحة فيقوم بها الحلاقون الذين يستعملون الكي، وكان في مدينة الجزائر مستشفى اسباني خاص بالنصارى، ولم يكن

[1]- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830-1871، الجزائر، 1977، ص 24,

للسلطة العثمانية إي تدخل بمهنة الطب ما عدا تعيين (جراح باشي) من قوات الانكشارية الذي يصحب الجيش في الحملات العسكرية للعناية بالجرحى.

2- موقع الجغرافي لمدينة الجزائر

2-1-الموقع :

تقع الجزائر جغرافياً في الشمال الغربيّ من قارة أفريقيا، أما فلكياً فتقع على دائرة عرض '36°42 شمالاً، وخط طول '3°13 شرقاً، بينما تقع أقصى نقطة في شرق الجزائر في ولاية إليزي على خط طول '00 °12 شرقاً، وتمثل هذه المنطقة المكان الذي تتقاطع فيه الجزائر مع دولتي ليبيا والنيجر، وتقع أقصى نقطة في غربها على الحدود التي تفصل بينها وبين الصحراء الغربية والمغرب على خط طول '40° 8 غرباً، أما أقصى نقطة في شمالها فتقع في مدينة سكيكدة على دائرة عرض '05 37° شمالاً، وتقع أقصى نقطة في جنوبها على الحدود التي تشترك فيها مع مالي في بلدية تين زواتين التابعة لولاية تمنراست على دائرة عرض '58 °18 شمالاً.[1]

الخريطة : موقع الجزائر الجغرافي

[1]- Political Map of Algeria", www.mapsofworld.com.

2-2-التاريخ :

تأسست المدينة على يد الفينيقيين في القرن الثالث قبل الميلاد، وحكمها الرومان وأسموها أيكوزيوم، وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية وفد إليها كثير من العرب الذين خرجوا هربا من الأندلس بعد زوال الحكم الإسلامي عنها عام 1492 للميلاد.

واستولى العثمانيون عليها بقيادة خير الدين بربروسا عام 1511، وفي القرن الثامن عشر استقل داي الجزائر بها عن تركيا إلى أن احتلها الفرنسيون عام 1830 لتخرجهم منها ثورة الجزائر عام 1962.

2-3-المناخ

تتمتع الجزائر بمناخ متوسطي، وهي معروفة بفصل صيف طويل حار وجاف (عموما ساخنة خصوصاً من منتصف يوليو إلى منتصف أغسطس) وشتاء معتدل ورطب، أما الثلوج فهي نادرة ولكنها ليست مستحيلة مع أمطار وفيرة يمكن أن تكون طوفانية.[1]

البيانات المناخية لمدينة الجزائر

الشهر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوي
متوسط درجة الحرارة الكبرى °م (°ف)	9.7 (49.5)	12.0 (53.6)	15.7 (60.3)	17.5 (63.5)	21.4 (70.5)	26.9 (80.4)	31.2 (88.2)	30.7 (87.3)	26.0 (78.8)	19.0 (66.2)	13.4 (56.1)	10.1 (50.2)	19.5 (67.1)
متوسط درجة الحرارة الصغرى °م (°ف)	2.6 (36.7)	3.7 (38.7)	5.6 (42.1)	7.2 (45.0)	10.7 (51.3)	15.1 (59.2)	18.4 (65.1)	18.2 (64.8)	15.0 (59.0)	10.2 (50.4)	6 (43)	3.8 (38.8)	9.7 (49.5)
الهطول سم (إنش)	3.7 (1.5)	3.5 (1.4)	2.6 (1.0)	4.7 (1.9)	5.2 (2.0)	2.5 (1.0)	1.5 (0.6)	1.0 (0.4)	2.8 (1.1)	4.9 (1.9)	5.6 (2.2)	5.6 (2.2)	43.6 (17.2)
متوسط أيام هطول الأمطار	9	9	7	11	12	7	3	3	5	9	9	11	95

المصدر: المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (UN)[69]

1- Météo Algérie واي باك مشين نسخة محفوظة 12 مايو 2001 على موقع

2-4-المعالم المدينة

- مقام الشهيد

هو جزء من مركب رياض الفتح، بني هذا نصب تذكاري للثورة الجزائرية، هذا المقام سنة 1982 بمناسبة إحياء الذكرى العشرون لاستقلال الجزائر (5 جويلية 1962)، وتخليداً لذكرى ضحايا حرب التحرير.[1]

- البريد المركزي

طابعه المعماري مغربي حديث شيد بين 1910 و1913 من قبل المهندس ماريوس طودوار بالتنسيق مع جول فوانو ويقع في قلب الجزائر.

- حديقة التجارب بالحامة

تقع في حي الحامة في الجزائر العاصمة وهي جوهرة خضراء خصبة تمتد على مدرج عند سفح المتحف الوطني للفنون الجميلة، تمتد على مساحة 32 هكتار من حي بلوزداد إلى حي حسيبة بن بوعلي.

- كنيسة السيدة الإفريقية

هي كنيسة رومانية كاثوليكية تقع في العاصمة الجزائرية. يمكن الوصول إليها عن طريق التلفريك، وهي أحد المعالم الأثرية الأكثر تميزاً في المدينة، تقع في حي باب الواد. بنيت الكاتدرائية في نحو 1872.

- جامع كتشاوة

من أشهر المساجد التاريخية بالعاصمة الجزائرية. بني في العهد العثماني سنة 1021 هـ/1612 م لكنه حول إلى كنيسة بعد أن قام الجنرال الدوق دو روفيغو القائد الأعلى للقوات الفرنسية بإخراج جميع المصاحف الموجودة فيه إلى ساحة الماعز المجاورة

[1] – مقام الشهيد بالجزائر العاصمة.

التي صارت تحمل فيما بعد اسم ساحة الشهداء، وأحرقها عن آخرها، فكان منظرا أشبه بمنظر إحراق هولاكو للكتب في بغداد عندما اجتاحها. وقد قام الجنرال روفيغو بعد ذلك بتحويل الجامع إلى إسطبل، بعد أن قتل فيه من المصلين مايفوق أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا فيه احتجاجا على قرار تحويله إلى كنيسة، وكان يقول: «يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين» ثم هدم المسجد بتاريخ 1832/12/18 م، وأقيم مكانه كاتدرائية، حملت اسم "سانت فيليب"، وصلّى المسيحيون فيه أول صلاة مسيحية ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر 1832 م، فبعثت الملكة "إميلي زوجة لويس فيليب" هداياها الثمينة للكنيسة الجديدة، أما الملك فأرسل الستائر الفاخرة، وبعث البابا "غريغور السادس عشر" تماثيل للقديسين.

- قصر الرياس

هو أحد المعالم التاريخية المهمة في مدينة الجزائر. وهو علاوة على ذلك شاهد مادي على الماضي المديد لمدينة الجزائر (القصبة) خلال الفترة العثمانية (القرن 16 حتى 19).

- متحف الوطني للفنون الجميلة

بحوالي 8000 لوحة فنية يعد متحف الوطني للفنون الجميلة أكبر متحف للفنون الجميلة في أفريقيا والشرق الأوسط والعالم العربي. تأسس عام 1875 من طرف بلدية الجزائر.

- ساحة الأمير عبد القادر

أحد أشهر الساحات بالجزائر العاصمة بعد ساحة الشهداء، تقع بالقرب من البريد المركزي. تعتبر الساحة تخليداً لذكرى الأمير عبد القادر الذي قاد مقاومة شعبية ضد الاحتلال الفرنسي والذي يعتبر أيضاً مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

ان الثقافة في البلاد الإسلامية كانت نتركز على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وامتازت الجزائر في العهد العالي انه اضيف الى الثقافة المذكورة انشار الطرق الصوفية غربي البلاد وشرقها ، وكان حل المنخرطين في الطرق المذكورة من حفظة القران وممن لهم مباديء فقهية وعقائدية ، كانت تميزهم عمل العوام في سلوكهم الشخصي ،هذا وان كان عدد المثقفين حسب المدلول السابق الذكر أقلية بالنسبة لمجموع السكان، فان المنتسبين للطرق الصوفية كانوا أكثرية .[1]

هذا وان المذهب الفقهي السائد ببلاد المغرب العربي كان المذهب المالكيوبعد استيلاء العثمانيين على الجزائر اثر غزوات الصليبيين الذين سقطت في أيديهم حل مدن الشواطيء الجزائرية، كوهران، بجاية.

احتفظت الجزائر بنخبة فقهائها المالكيين، رغم ان مذهب الدولة العثمانية الرسمي هو المذهب الحنفي . وبعد اعتراف الخلافة العثمانية خير الدين باشا بحكم الجزائر، وانطواء الجزائر تحت حكم الخلافة ونظمها التي كان من بينها تعيين شيخ الاسلام الحنفي من الاستانة رأسا لمدة سنتين ، وكان شيخ الاسلام الرئيسالديني المطلق، وكان هو الشخصية الثانية بعد الباشا، فان الفقهاء المالكيين حافظوا على مكانتهم، حيث كانوا يمثلون أغلبية السكان ، وعلى سبيل المثال نذكر أن مدينة الجزائر ال استحالت إلى عاصمة البلاد في العهد العثماني تولى الرياسة الدينية بها الامام المالكى جامعه الأعظم وهو العلامة المحدث الشيخ محمد بن علي الحروبي، وعزز مركزه الديني تمركز سياسى وهو تعيينه سفيرا للدولة بأمر حسن باشا بن خير الدين.

والى هذا أشار صاحب كتاب « تعريف الخلف برجال السلف» في ترجمته للخروبي فقال : « الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي نزيل الجزائر ودفينها، تعين للوفادة على مراكشسنة 961 هم إلى أن قال : « وتوفي الخروبي هذا سنة 962 هـ، ودفن

[1] - ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر مرجع سابق، ص 135.

خارج الجزائر – مقبرة باب الواد – ثم واصل الحفناوي تعريفه فقال : «وفي الجذوة أنه من أهل الحديث والفقه والتصرف واقف على اعراضهم، جمع في فن التصرف والأذكار والأوراد، كتبا منها شرح الحكم لابن عطاء الله، ورسالة رد فيها على أبي عمر الفسطلي المراكشي، وحدثني بعض الجزائريين انه راى تفسيرا له على القرآن العظيمزائر بني مزغنة وغير ذلك، وكان جماعا للكتب، وكان خطيبا بالجزائر وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان، واستعملوه في السفارة بينهم وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني، فورد المغرب ودخل مدينة فاس، عاينت اجازته لشيخنا أبي عبد الله المصري الوزر والي، لما دخلها مؤرخا لها سنة تسع وخمسين وتسعمائة (959 هـ)، وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم».

كما نجد العثمانيين عينوا العالم الفقيه الشيخ عبد الكريم بن الفكون الجد شيخ الاسلام بقسنطينة وورثوا هذه الخطة لأبنائه وأحفاده، طيلة مدتهم بحكم الجزائر، وقسنطينة كانت انذاك دار علم وهي العاصمة الغربية للدولة الحفصية.

أما القطاع الغربي للجزائر، فكانت قاعدته مدينة تلمسان ولما سقطت مدينة وهران في أيدي الأسبان ورغم اكاء هذه الغزوة صبغة صليبية محظة، حيث تولى قيادة الغزاة الكاردينال (Ximinez) اسفقطليطلة، فان ما نبقي من امراء دولة بني زبان الهزيلة، تسابقوا إلى والي وهران الاسباني فعرضوا عليه اعانتهم بالذخيرة والمال، فحينئذ ذهب لتلقينهم درسا قاسيا، عروج لخبر يطول. وهنا نفتح المجال للتعرض إلى وثيقة جاد بها الزمان واحتفظ لنا بها التاريخ الى عهدنا هذا . حيث اكتشفت بعد استقلال البلاد، وهذه الوثيقة عبارة عنرسالة كتبها باشا الجزائر الى سكان مدينة تلمسان، تتعلق بالقضية الدينية، اذ وقع خلاف بين سكان مدينة تلمسان ، والمفتي المالكي الذي كان بحكم وظيفة ناظر الأحباس، وذهب أعبان البلدة الى الباشا شاكين سوء تصرف المفتي فاستقبلهم الباشا، وبعد الاستقصاء والتروي، تبين له أن الشاكين تمالوا على تزوير دعوتهم، فحينئذ نصحهم الباشا وأمرهم بالصلح.[1]

[1]- ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 136.

والذي يهمنا من هذه الوثيقة هو تحديد الباشا لموقفه في مثل هذه القضية، والمنهاج الذي سطره للسكان والمفتي وله ايضا.

وزاد في قيمتها أن محورها كان من اكبر علماء عهده، فأفرغ رسالة الباشا في قالب أضفي عليها رونقا وجمالا، ولذلك اثبتها على طولها في هذه الدراسة، حيث انها زيادة على المنهاج الذي خطه فيها باشا الجزائر فيما يتعلق بالحياة الدينية في العاصمة العلمية بغرب البلاد، فان اسلوبها البليغ جعلها في طليعة رسائل النثر الفني، كما أن الداعي الى إثباتها ما التزمنا به في هذا التأليف من اعطاء الأولوية والأسبقية للوثائق الأصيلة التي لم يسبق نشرها، بل ولم تسبق حتى الاشارة اليه، وان النقص الوحيد الذي وجدناه في هذه الوثيقة أي نقص مسفر مجموع هذه الرسائل خرم بعضها، فحذفت بعض الفاظها وعملا بالمحافظة على أمانة النقل تركنا مكان المفردات المحذوفة بياضا وهذا نص الرسالة الباشوية » الحمد لله الذي اسى روح احساننا على الأنام، فكان الحظ الوافر منه لعلمائنا الأئمة الأعلام ، وأفاض بحر عدلنا الوافر على الأول منهم والآخر، فلله الحمد سبحانه على ما أولانا اذ فضلنا على كثير من عباده وولانا.

وجعل عمودى بيت دولتنا السعيدة عدلا وإحسانا، وجمع فيها القلوب ، وألف بين المتنافرين من الصبا والجنوب، المتقاطعون في ايامها الرشيدة اخوانا، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم ، الذي أنزل عليه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ورضي الله عن الآل والأزواج والأسهار وسائر المهاجرين والأنصار وباقي الصحابة والتابعين ، وتابعيهم بأحسان إلى يوم الدين، وعن العلماء الراشدين ، والأولياء الصالحين ، والدعاء بتخليد دولة أمير المؤمنين إلى يوم الدين وبعد لما أن اتقد الله صبحانه القدر، واصم الأذن واعمى البصر، طال اللسان، وقطعت الأرسان، وحال في ميادين العلاج، العناد واللجاج، (بياض بالأصل) من علماء تلمسان وموجبه مسألة علمية، وإنما الأعمال بالنية، وكل على هدى، ولم يتعد العدا

فتواطأالجم الغفير وكان الله تعالى القوة والحول، والعالم القدر، العلم الحبر بذا الزمان سليل بنى عدنان، مفتي المدينة ذو العروة اللينة، والوقار والسكينة، أحمد المعين.[1]

قد انفرد بالقول الآخر وتعين، فأبوا أن يذعنوا لقوله الواقع، فاتسع الخرق على الواقع، فعند ذلك حركه الهمة العلية، وهزته الأخية وصالت عليه السنية الأحمدية، والقيمة المحمدية فقام وقعد، و برق ورعد، وقالوا وقال، وجالوا في ذلك الميدان العريض وجال، واظهر كل منهم اصح نيح الفعال، وحذا له النعال بالنعال، وضاق عليهم الخناق وقامت بينهم على ساق، فن حل هذا المشتبك، ومن يعاني هذا الأمر المرتبك ففزعوا للحضرة الزكية، والأبواب العلية، والأعتاب الشريفة، والمواقف المتينة بالجزائر المحمية بالله تعالى، فلما دخلوا أمام الوالى صار كل منهم لصاحبه قالي، أتوا بعض انتصار،[1] كاد أن لا يقر هم قرار فنزلوا وصعدوا. واستمروا واستأسدوا وصالوا وجالوا، ومالوا عن الصواب وقالوا ، وخرجوا من نصة إلى أخرى وارتكبوا أمرا أمرا ، ومرتقا وعرا ، وأوسعوا الأنام عذرا، وادعوا أن السيد خالف الشريعة (ياض بالأصل) وأفسد الأوقاف ، ولم يستعمل الانصاف، قرموه بذلك في سرداب، واغلقوا دونه الأبواب، ولا ملجأ الا الله ولا ناصر، ان هموا بعزله ونقض ما كان أبرمه من غزله، وكادوا أن يظفروا بالمرام، ويفضحون ما بين الأثام وكانت اراء العلية المرادية والتهمة السنية الجهادية لا تستعمل في الأمور البداهة، ولا بمقتضى السهرة والنزاهة، بل يشت ويتوقف، ويضرب الأخماس في الأسداسي ويتصرف، فلما أن روجت، ظهر أن ذلك كله زور، وانما حملهم على ذلك الغبطة الفقهية، والمنافسة الأدبية، فخيبت آمالهم، وضرب كل منهم يده على فيه، ولم يعد فط بعدها برافه او يجاريه في ذلك المضمار او يناويه، وانقلبت صفقتهم خاسرة، وشركتهم اسرة ، فلما ضاق عليهم العلوق وسار أسفلهم من فوق (بياض الأصل) رغبوا في الصلح الذي هو خير، واقسموا أن لا ينافسوا بعدها الغير، ولا يعودوا لمثلها أصلا، ولا يسددوا نحوى من المكايد تملا، فانعقد الصلح بينهم لدى

[1] - ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 138

[1]- ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 139-140

المواقف السلطانية، والمجالس العلمية النورانية، كل ذلك بمحضر علمائها وقضاتها ومفتيها، وكبرائها والشيخ الأحد البركة سعيد السعيد في حالتي الكون والبركة صانه الله وصانهم اجمعين، وانقلب سيد منصورا، فرحا مرحا مؤيدا محبورا، مقرا في مكانته ومكانه، مضاعفا له في سمو قدره وشأنه، إماما مفتدى مهديا، وعالما فقيها مفتيا (بياض بالأصل) مقدرا له سعد واقبال لديهما تجديدا لا يلى جديده.[1]

[1] - ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 141

الفصل الأول :

التطور التاريخي للزخارف العمائرية الاسلامية

تعريف الزخارف العمائرية

جاءت الزخرفة في لسان العربلابن منظور بمعنى: الزينة، وزخرف البيتزخرفة: زينه وأكمله. وكل ما زو ق وزين فقد زخرف. وجاء في مختار الصحاح لرازي أن المزخرف: هو المزين.[1]

وعرف الكاتب عاصم محمد رزق الزخرفة بقوله : زخرف الشيء (بفتح الزايوسكون الخاء) : زينة ونقمة، وزخرف القول : حسنه بالكذب والزخرف(بتشديد الزاي وضمها)جمع –زخارف– الذهب، وتمام الحسن، وكل مموه مزور، والزخرف من الأرض :ألواننباتها، ومن الكالم: المرقش بالكذب، ومن الحشرات: جنس من نصفيات الأجنحة تعلو فوقالماء، ومن البيت: متاعه، ومنه قوله تعالى : "أو يكون لك بيت من زخرف" (سورة الإسراء : الآية 93)، والزخرفة : فن تزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم ونحو ذلك.

والزخرفة : الذهب، ويطلق على كل ما هو مموه أو مزور. وهي كذلك : التزيين والتحسين. والزخرف : الذهب والزينة وكمال حسن الشيء.[2]

ومنه، يمكن تعريف الزخرفة بأنها عبارة عن خطوط وأشكال ورسوم تمنح الشيء المزخرف جمال وزينة، أي هي كل ما يزين العمائر والتحف بأنواعها المختلفة.

أما الزخارف في المصطلح الأثري الفني فهي النقوش التي يجمل بها البناء سواء كانت فيجص أو حجر أو خشب أو رخام أو غيره، وقد حظيت هذه الزخارف في العمارة والفنون الإسلامية بعناية خاصة ومستمرة حتى بلغت شأنا كبيرا من الجودة والإتقان والتنوع نتيجة جهود متواصلة بذلها الفنانون المسلمون في هذا المضمار عندما حفروا الخشب وصفحوا الأبواب وكفتوا المعادن، وثقبوا الأحجار ونقشوا الجص ولونوا الخزف ونزلوا الرخام وغير ذلك من الضروب المختلفة التي مستها أياديهم.[3]

[1] - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، 1982، ص 28.
[2] - إياد صقر، الفنون الإسلامية، الأردن، دار مجدالوي للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003، ص 25.
[3] - عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص 130-131.

خصائص الزخرفة

تتمتع الزخرفة بشكل عام بخواص متعددة ترتبط بطرق تنفيذها وبأسلوب الفنان فيمعالجتها وقد انفردت الزخرفة الإسلامية بخصائص جعلته تميز الفن الإسلامي عن غيرهوتتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

- **كراهية الفراغ:** وتتجلى في ميل الفنانين المسلمين إلى تغطية المساحات وهربهم منتركها بدون زينة أو زخرفة، فإن من أكثر ما يلفت النظر في العمائر والتحف الفنيةالإسلامية ازدحام الزخرفة وكثرتها واتصالها حتى تغطى المساحة كلها أو جزء منها، لذاكانت الفنون الإسلامية فنونا زخرفية قبل كل شيء، وكانت فضال عن ذلك أعظم الفنونخصبا في الزخرفة،ويعبر الغربيون عن هذه الظاهرة في الفنون الإسلامية بالاصطلاح اللاتينيHororvacuiأي الفزع من الفراغ. وهذا ما يلفت النظر في التحف والعمائر الإسلامية، حيث نلاحظ أنها مزدحمة بالزخرفة متصلة ببعضها البعض تغطي كل المساحة.[1]
- **التجريد "البعد عن الطبيعة"**: حينما نصف الزخرفة بأنها فن تجريدي فلا يعني ذلك أنهاخلت من الموضوع... فموضوع الزخرفة الإسلامية هو التجميل والتزيين...، واذا أمعنا النظر فيما استعملت له هذه الكلمة في الفن الإسلامي أمكننا القول بأنها جرت في أحد معنيين:

أ- إنها تعني خلو الموضوع من التشخيص – أي من رسوم الأشخاص فيه – وعلىهذا تكون كلمة "تجريدي" في مقابل كلمة "تشخيصي"

ب- إنها تعني توخي عدم التباين بين أفراد النوع الواحد، والخروج من الكثرة إلى النموذجفترسم – مثلا – ورقة الشجر بحيث لا تمثل ورقة نبات بعينها، بل تشير إلىشكل الورقة، دون أن يكون في الطبيعة ما يمثلها. وبتعبير آخر: إنها تعنيتصوير

[1] - إياد صقر، مرجع سابق، ص 30.

الأشخاص من غير تعيين، أي من دو ن نقل الملامح لكائن بعينه تحددمن حيث الزمان والمكان والذات، فالغاية تصوير المفاهيم، أو الرمز لوجودالكائن.

- **التكرار:** كان الفنان المسلم يشغل كل المساحات التي أمامه بالزخرفة دون أن يترك منهاأي جزء بدون زخرفة وهذا ما دفعه إلى التكرار بالنسبة للوحدة الزخرفية، ويعتبر التكرار منهم قواعد الزخرفة وهو من أبسط قواعد التكوين الزخرفي وبتكرار أي عنصر أو وحدة نحصل على تكوين زخرفي جميل.
- **التناظر:** هو تطابق العنصر الزخرفي لى النصف الآخر تمام االنطباق بواسطةمحور مستقيم يسمى محور التناظر.
- **التشعب:** هو التفرق في الشيء، ويقال انشعبت أغصان الأشجار إذا تفرقت وانتشرت، والتشعب يكون من نقطة ومن خط.

التوازن: هو القاعدة الأساسية التي يجب توفرها في التكوينالزخرفي الناجح، والتوازنيعبر عن التكوين الفني المتكامل من حيث حسن التوزيع للعناصر والوحدات وكذلك الألوانوتناسقها وعلاقتها ببعضها البعض وبالفراغات المحيطة به.[1]

التطور التاريخي للزخارف الجصية

حرص الإنسان منذ أن كان يعيش في الكهوف في عصور ما قبل التاريخ على أن يزين جدران كهفه بالزخارف المختلفة، وقد ظل هذا الحرص ملازماً له عبر العصور التاريخية وإن اختلفت وسائل الزخرفة، ولم يقتصر استخدامه للجص فقط على الزخارف بل تعداه إلى استخدامه في تغطية الحجر غير المهذب الذي كان يبني به الدور والمنازل بطبقة من الجص تستر عيوبه وطلاء المنازل وزخرفتها بالجص.

ومما نشاهده في العمارة التقليدية في قطر وغيرها في منطقة الخليج العربي ليست وليدة اليوم بل أن تاريخها يعود إلى العصر الساساني وما قبله، حيث برع الساسانيون في

[1] - عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص 133

طلاء جدران منازلهم بالجص، مما أتاح لهم أن ينقشوه بزخارف متنوعة يرجع بعضها إلى أصول محلية.[1]

الحفر على الجص:

نظراً لسهولة الحفر على الجص استطاع البناء أن يزين حجرات القصور والبيوت والمجالس من الداخل وأحياناً أخرى من الخارج بحشوات جصية معمولة بطريقة القالب أو بطريقة الحفر مباشرة، وكما هو معروف فإن عملية الحفر تنقسم إلى نوعين غائر وبارز، فالغائر كان أعلى مستوياته هو سطح الوجه المنحوت فيه، وأحياناً يتم تفريخ الزخارف الغائرة فتصبح زخارف مفرغة.

أما البارز فينقسم إلى أقسام منها الحفر الخفيف والبروز الشديد والبروز والحفر المجسم، ولقد استخدم البناؤون كل تلك الأنواع في الماضي إلا أن السائد كان الحفر الغائر، ولقد ارتبطت الزخرفة الجصية بالعمارة حيث تزين بها المداخل والواجهات والأفاريز والعقود والشمسيات والتجويفات، كما دخل الحفر في زخرفة الأبواب الخشبية.

الزخرفة الهندسية على الجص:

استعمل الإنسان الزخارف الهندسية في جميع الحضارات منذ أقدم العصور، ولا شك أن اهتمام الإنسان بالزخارف الهندسية مرده إلى سببين، الأول نزوع فطري نحو التجريد والثاني التوجيه الذي تفرضه الحاجة والإرادة في أثناء عملية الإنتاج، ويمكننا القول أن نشأة الزخارف الهندسية لم تكن مسألة إرادية بقدر ما هي لا إرادية.

لم يترك المعمار في قطر ومنطقة الخليج العربي المباني التي شيدها دون الاعتناء بها، فزينها بزينة تتم عن ذوق سليم، كما اهتم بداخل البناء أكثر من اهتمامه بخارجه وانتقى

[1]- الحفر: هو ضرب من الزينة تنقش فيه الرسومات والزخارف على أسطح خامات الخشب العاج والزجاج والمعدن والحجر والجص ونحوها. (عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبةمدبولي، ط1، 2000، ص 82.

الزخارف واهتم بنوعيتها فنرى غالبية الزخارف هندسية، ولقد كانت بيوت كل من مدينة الدوحة ومدينة الوكرة ومدينة الخور على وجه الخصوص تشتهر بالزخارف الجصية الهندسية.

التطور التاريخي للزخارف الخشبية

يعتبر الحفر على الخشب من أقدم الفنون الجميلة في التاريخ بدأ به الإنسان منذ العصور القديمة وقد زين العثمانيون الابنية المختلفة بالاجزاء الخشبية سواء كانت حفرا على الخشب أو نقشا عليه أو تلوينه وذلك مثل منابر المساجد والصناديق وحوامل المصاحف وصناديق الملابس، والخزائن، والكراسى، كما استخدم في الحفر على الخشب لتشكيل رسومات هندسية جميلة.

كانت الأساليب القديمة وخاصة الإغريقية والفارسية هي المتبعة في صناعة الخشب هي المتبعة في العصور الإسلامية الأولى، ثم تطور هذا الفن منذ العصر الأموي ليتخذ بعدها أسلوبا جديداً مميزاً. وقد تميزت زخارف القطع الخشبية في العصر العباسي بأساليب فنية وعناصر زخرفية تشابه زخارف سامراء من الطراز الثالث وكان أكثر تلك الزخارف شيوعاً العناصر والأوراق الكأسية واللوزية والجناحية وأنصافها المتميزة بحجمها الكبير ووجود الفيان المجوفة والأقراص والخروز فملأت بتلاصقها الأرضية وقد نفذت تلك الزخارف بواسطة الحفر المشطوف أو المائل.

وطرز الحفر على الخشب يمكن حصرها حسب العصور بالقيصري والعربي والعباسي والأيوبي والفاطمي وطراز نور الدين والمملوكي والأندلسي والفارسي.

وتاثر الحفر على الخشب في مصر بقدوم ابن طولون إليها فانتشرت الأساليب العباسية التي سادت في سامراء فاتصفت بعمق الحفر في زخرفة الخشب، وازدهرت الزخارف المنفذة على الأخشاب إبان العصر الفاطمي شأنها باقي الفنون الإسلامية. ويمكن تحديد تاريخ بعض التحف الخشبية المحفوظة في المتاحف أو المجموعات الفنية الخاصة

على وجه التحديد، إما من خلال الكتابات الموجودة عليها أو من خلال تاريخ المسجد أو المكان الذي استعملت فيه...[1]

أما أنواع الحفر على الخشب فهي:

1. الحفر البارز المسطح وفيه يصل ارتفاع الزخارف المحفورة إلى حوالي 5 ملم ويكثر غالبا في تصميم الميداليات والحفر الإسلامي.
2. الحفرالبارز المشكل وفيه يزيد ارتفاع الزخارف والأشكال المحفورة على الأرضية باكثر من نصف 0.5 سم ويصل إلى حوالي 7 سم في الحفر الروماني على أن تكون الأرضيات في الشكل جميعها متساوية وبعمق واحد.
3. الحفر البارز المجسم وهو كالحفر البارز المشكل ولكنه أكثر بروزا وعمقا في الأرضيات التي يجب أن تكون متساوية في عمق واحد أيضا وقد تصل فيه ارتفاعات الزخارف المحفورة إلى برواز 25 سم لتعطي تأثير أقوى ويصلح استخدام هذا النوع من الحفر في الأماكن البعيدة عن النظر، ومعظم موضوعاته من الكائنات الحية.
4. الحفر المفرغ وهو الحفر لتشكيلات مفرغة بمنشار الآركت والمحفورة في الوقت نفسه على أن تتماسك وحداته، ويستعمل في أشغال الإطارات (البراويز) الثمينة. ويستعمل المفرغ للثريات القاعات الرسمية. وبصورة عامة يكثر في هذا الأسلوب رسوم الحيوانات من غزلان وخيول وسباع ووحوش مفترسة إلا أن أشكالها غير تامة فمثلا ترى في شكل: رأس حصانين إلا أنهما ملتصقان في شكل زنبقة الكشاف بوضع زخرفي متناسق متناظر.[2]
5. المقرنصات نوع من الزخارف التي طورها العرب، وأصبحت من ميزات فنهم، ولها صور متعددة، بعضها يشبه الرواسب الكلسية المتدلية من بعض الكهوف، وبعضها يشبه أعشاش النمل أو خلايا النحل، وأصل المقرنص هو الكوة التي تستعمل للانتقال من المربع إلى المستوى الذي تقام عليه القبة، في الأبنية المتميزة بقبابها. وحالياً يقتصر هذا الفن على التزيينات الممكن تدليها من السقوف كمراكز الإضاءة وأماكن

[1]- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسالمية في الجزائر، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2002، ص 90.
[2]-محمد عبد الله الدرايسة، عدلي محمد عبد الهادي، الزخرفة الإسلامية، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2009، ص 95

تعليق الثريات، أو جوانب المقاعد الكبيرة المريحة، أو أطراف الطاولات والتربيزات، أو كوى الفترينات الثابتة في الجدران وغيرها. وقد ورث العرب السوريون هذا الفن عمّن سبقهم من الأمم الأخرى، وطوروا فيه الكثير حتى أضحى على ما هو عليه من تجديد وابتكار .

6. الحفر الغائر عكس الحفر البارز من الأنواع السابقة وفيه تكون الزخارف المحفورة إلى الداخل مع ترك الأرضيات كما هي بدون حفر أو نقش وقد لجأ القدماء المصريين إلى استخدامها بكثرة في المعابد والمقابر القليلة الضوء لتساعد الظلال على وضوحها ولتعمر طويلا.
7. الحفر المجسم وهو أدق أنواع الحفر ويشمل الحفر على كتل بقصد تشكيلها وتجسيمها وأكثر استخدامه في النحت وعمل التماثيل.

التطور التاريخي للزخارف الرخامية

مع ازدهار الحضارة الإسلامية وما صاحبها من نهضة عمرانية واسعة تميزت بالإعتناء الفائق بجماليات العمارة وزخرفتها. ازدهرت صناعة الرخام وانتشر استخدامه في عمائر المسلمين الدينية والمدنية، فاستعمل في الأرضيات، في تكسية الجدران والفسافي (النافورات) واحواض الحمام كما استخدم في المنابر وتلبس المنارات، وكاعمدة رابطة في سمك البناء، فضلاً عن استخدامه في صنع التأثيل وألعاب الأطفال.[1]

وجاء ذكر الرخام في المصادر التاريخية القديمة في معرض وصفها للمدن الإسلامية، فيذكر المؤرخ "بن ظهيرة" في كتابه: "الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة أن جوامع ومدارس وأربطة وبيوت مصر كانت مزخرفة بألوان الرخام العجيبة الثمينة البهية المنظر، وأن حماماتها كانت في غاية الحسن في بنائها من كثرة الرخام والزخرفة.

وذكر "ابن فضل العمري" أن الجامع الأموي في دمشق استخدم في بنائه الرخام الملون كالغرابي والمنقط والمشحم والأحمر والأخضر والسماقي، وهي أنواع الرخام في ذلك الوقت :

[1] - محمد عبد الله الدرايسة، عدلي محمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص 96.

وأشار "المقريزي" في كتابه الخطط إلى تنافس سلاطين وأمراء الممالك في إنشاء الأبنية ذات الزخارف والجدران والأعمدة الرخامية.[1]

وشهد عصر "خماروية" ازدهاراً وتوسعاً كبيراً في استخدام الرخام، حتى صنعت منه تماثيل لأشكال آدمية وحيوانية ازدانت بها قصور الأمراء ومنشآتهم، وكان هناك تمثال من الرخام على شكل أسد في مقياس النيل في الروضة كان يتخذ كعلامة لوصول منسوب النيل إلى حد معين.

وقد ورثت القاهرة الفاطمية في فترة لاحقة هذه التقاليد الفنية في صناعة الرخام، ووصلت إلينا من آثار قصور الفاطميين ألواح من الرخام تحفل برسوم منحوتة نحتاً بارزاً لكائنات حية.

ولدينا أيضاً من العصر المملوكي عنابر رخامية منحوتة باشكال كتابية من الخط الكوفي والنسخي لبعض الآيات القرآنية، مثل منبر ضريح السلطان برقوق، ومنبرجامع الخضيري وجامع أف سنقر ومنبر جامع السلطان حسن.

وتوجد في المتحف الإسلامي في القاهرة تحف رخامية منقولة من القصور والمساجد مثل مجموعة "ازيار" للمياه مختلفة الأحجام بيضاوية الكل ومنحوتة من قطعة واحدة ولها قواعد من الرخام أيضاً، وبه أيضاً ألواح من الرخام التي كانت تسمى شاذروانان (أو سلبيلان).

أنواع الرخام

وقد تعدد أنواع الرخام في ذلك العصر بتعدد أشكاله ومواطنه ، وكان لكل نوعاسم خاص به أطلقه عليه أهل الصنعة، أو قد تكون الأسماء ماخوذة أسماء وصفات للنباتات أو للحيوانات والطيور أو للمواطن التي جلب منها. فكان منه رخام (زرزوري، وقطقاطي،

[1]- رشيد دوكالي، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، تر: لطيفة بورابة وشفيقة عيساني، الجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2013، ص 38.

ومشمش، ونوار، وزنجي، وغردي، وبندقي وياسميني، وحلبي، وخليلي، وغزالي، وحجازي، والمجزع، والمشحم، والسماقي.. وغيرها).[1]

وهناك نوع آخر أطلق عليه اسم "الألباستر" وهو رخام نصف شفاف في بعض الأجزاء ومعتم في البعض الآخر، وذو عروق متموجة مزركشة يتغير لونها من البياض إلى الزعفراني.

وكان تصنيف الرخام حسب المصدر أو البلد المستخرج منها، مثل السومي وهو أسود، والصعيدي أو البلدي وهو أبيض.

وقد يكون الاسم أطلق للتمييز بين أنواع الصخور كالسماقي، والصوان، أو أطلق على أساس الوصف العام للرخام مثل المجزع والمشحم والمعرق أو أطلق حسب اللون وهو نوعان الأول يمثل الأبيض، والأزرق والأحمر، والثاني صفات وأسماءنبات كالمشمش والياسمين ونوار الفول أو ألوان نسبتها إلى طيورمثل الزرزوري والغرابي.

كذلك يكون الاسم أطلق للدلالة عن جمع أكثر من نوع مثل الصواني الغربي، والصواني القطقاطي، والأحمر الخليلي، والمسن الحجازي، والأخضر المرسيني والأخضر الريحاني.

ونظراً لندرة مصادر الرخام وعدم كفاية ما تخرجه المحاجر المحلية من الأنواع والألوان المطلوبة لسد احتياجات الحركة العمرانية الواسعة، اتجه السلاطين والأمراء إلى استيراد الرخام من الخارج وخاصة من إيطاليا وجزر البحر المتوسط القريبة من السواحل المصرية والشامية، وكانت في القاهرة– كما يذكر المقريزي – سوق مخصصة لاستقبال تجار الرخام الوافدين من الخارج، وكان يطلق عليه (فندق الرخام) وكانت هناك سوق لتجارة القطع الرخامية الصغيرة تسمى "سوق الخردفوشية" كان يتجمع فيه أرباب الصنعة من جميع أنحاء البلاد.[1]

[1]- رشيد دوكالي، مرجع سابق، ص 39.
[1]- محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 93.

ومن جهة أخرى اتجه السلاطين إلى استخدام الرخام القديم من عمائر أسلافهم، كما فعل السلطان بيبرس عندما أراد بناء مسجده فكتب بإحضار أعمدة من الرخام من سائر البلاد. وكان السلطان "الغوري" أكثر السلاطين الذين قاموا بنقل الرخام من الأبنية السالفة لعصرهم واستخدامهافي منشآته وإصلاحاته المعمارية المختلفة.

التطور التاريخي البلاطات الخزفية

يعود تاريخ الخزف والزخارف على البلاطات الى العصور القديمة، والذي أصبح في هذه الآونة من أهم وأجمل الفنون التشكيلية التي يتم الاستخدام لها في الكثير من الاماكن والمواضع، وتعتبر البلاطات الخزفية هي ضمن الفنون الاسلامية القديمة وتصنف بأنها هي من أقدم الحرف و الفنون التي تم استخدامها من قبل البشر، حيث لم يتم التعرف إلى هذا الوقت على الفئة التي بدأت باستخدام البلاطات الخزفية والفن الزخرفي، وقد بدأ المسلمون باستخدامها في تغطية جدران المساجد بالبلاطات الخزفية، والذي لاقى الكثير من الأبداع في التغطية للجدران.[1]

أنواع المواد الخزفية :

- المواد الخزفية الإنشائية : ومنها صناعة الآجر وكذلك القرميد.
- المواد الخزفية التقنية : وتعتبر المواد التي تعرف أن لها كثرة بالتسميات ومن أهمها هو الخزف الصناعي، والخزف المتقدم، والخزف الهندسي.
- مواد العزل الخزفية ذو الحراري.
- مواد البورسلان الخزفي.
- البلاطات الخزفية هي قطع من الطين.

[1] - محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 95

الفصل الثاني :

جامع كتشاوة

جامع كتشاوة موقعه و تاريخ إنشائه

موقع جامع كتشاوة

جامع كتشاوة أحد عناوين الإسلام بطابعه المعماري العربي الاسلامي وأشهر المساجدالعتيقة بالعاصمة،وهو معلم عايش أو واكب حقبا تاريخية عديدة مما يجعله معمارًا مقاوما للزمنوقهره وسمي كتشاوةنسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة وهي سوق الماعز".

ويعد مسجد كتشاوة في قلب العاصمة الجزائرية القديمة من المساجد التي تصارع الزمنرغم مرور قرون من تشييد هذا المعلم الاسلامي ليبقى أحد المعالم التاريخية الراسخة في الجزائروأقدمها في الحي العتيق المعروف بالقصبة الذي يحفي بياناته المتشابكة ضروحا عريقة قاومتالحروب والزلازل لقرون وظلت شاهدًا حيا على تعاقب ال كثير من الحضارات عليه لاتزال بصماتها شاهدة للعيان حتى يومنا هذا .[3]

تاريخ إنشاء الجامع

لا نكاد نعرف بالضبط إعتمادًا على أقدم الوثائق تاريخ إنشاء المسجد سوى ماتذكره أقدم الوثائق المتعلقة به والتي تعود إلى سنة 1020 هـ1612 م ،وكانت تشرف على تسييره مؤسسة سبلالخ يرات ،فقد أعاد بنائه الداي حسن باشا سنة 1209 هـ(1794-1795م) حيث قام بتوسيعهوتزيينه بالرخام على نمط مسجد السيدة ،فيعد من أجمل مساجد مدينة الجزائر من حيث النقوشوطراز العمارة،[4]لكن مايمكن أن نلاحظه في إحدى اللوحات الخاصة بمدينة الجزائر والتيرسمت فيها جميع أجزاء المدينة ولم تشر إلى إسم مسجد كتشاوة ،مع العلم أن تلك اللوحة مؤرخةبـ 1569 م ومع ذلك فلا نعتقد بأن المسجد قد بني في سنة 1794 م (فهايدو) الذي زار الجزائر سنة 1581 لايذكر مساجد الجزائر الهامة في القرن 16 إلا إثنين فقط هما مسجد القشاشالذي أنجز سنة 1579 م ومسجد خضر باشا المنجز في سنة 1596 م ولكن من جهة أخرى قدرعدد المساجد بالمدينة بأكثر من مئة مسجد وقد

[3]- كان الأتراك يطلقون عليها اسم "سوق الماعز". فكلمة "كتشاوة" بالتركية هي مزيج من keçi وتعني ساحة، و chava تعني عنزة.
[4]- أمير يوسف ،إسهامات الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830) مجلة الدراسات التاريخية ،كلية العلوم الانسانيةوالاجتماعية جامعة الجزائر2، العدد 14، 2012، ص ص 167-168

يكون مسجد كتشاوة من بينها ،مما جعل عمل الداي جسن باشا عملا تجديديا فقط للمسجد سنة 1794م.[1]

التجديد

وتوجد في المتحف الوطني للآثار القديمة لوحة تذكارية تبين تاريخ تجديد هذا المسجد منطرف حسن باشا، وهي لوحة مستطيلة الشكل كتبت باللغة العربية بخط الثلث وبأسلوب الحفرالغائر المملوء بالرصاص، جاءت الكتابة على شكل أبيات شعرية في سطرين مجزأين داخلمعينات، وقد جاء في نصها ما يلي:

حبذا جامع يرام بالمنا من مبلغ القصد وتبسم بروق الختام من أفق العهد

بناه سلطاننا الرضي عظيم القدر حسن باشا بالبهاء عديم المثل والند

قد أفتى لتشييد أساسهاعلى التقى ثقل فخاره من مال تجل عن العد

وحاز بهجة لدى الناظرين أرخ لما كملت كالسعد وباليمين والمجد

شكل (1)لوحة التأسيس لمسجد كتشاوة (عن محمد عقاب الطيب)

تحليل محتَّوى نص الكتابة:

اذا ما أمعنا التأمل في هذه الأبيات جاءت هذه الأبيات مسجوعة فآخر كل بيت ينتهيبحرف الدال، وقد إشتملت على بعض الأخطاء. هذه الكتابة تفيدنا أن هذا المسجد من

[1]- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في الجزائر، سلسلة علوم واثار ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بنعكنون الجزائر، 1988، ص 126.

المساجدالجامعة التي تقام فيها صلاة الجمع والأعياد إضافة إلى الصلوات الخمس، وأما كلمة بناه ففيهاإشكال نوعا ما لأن الجامع قد كان موجودًا قبل التاريخ وربما يكون قد أعاد بناءه كاملا، وقدأنفق عليه كما تدل الكتابة أموالا طائلة تجل عن العد حتى أصبح منظره يبهج ويعجب كل منرآه، وقد كان هذا التجديد سنة 1417 هـ الموافق لـ 1794، 1795 م.[1]

بطاقة فنية للوحة :[2]

طبيعة اللوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تذكارية لجامع كتشاوة
المقاسات	ط: cm21 ، ع: cm27 ، س:cm10
المادة	الرخام
نوع الخط	خط الثلث
تقنية الصنع	الحفر الغائر المملوء بالرصاص
عدد الخراطيش	ثمانية
عدد الأسطر	سطرين
التاريخ	09 12هـ / 1794 1795 م
مكان الحفظ	المتحف الوطني للآثار القديمة

[1]- محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني، تاريخها، دورها، و عمارتها، رسالة الماجستير في العلوم الإسلامية ،اشراف أ.د.عبد العزيز شهبي، السنة الجامعية 2015/2014، جامعة الجزائر ص 65.

[2]- سعيد بوزرينة، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجيستير، إشراف بن بلة خيرة،الجزائر، 2011/2010، ص 13.

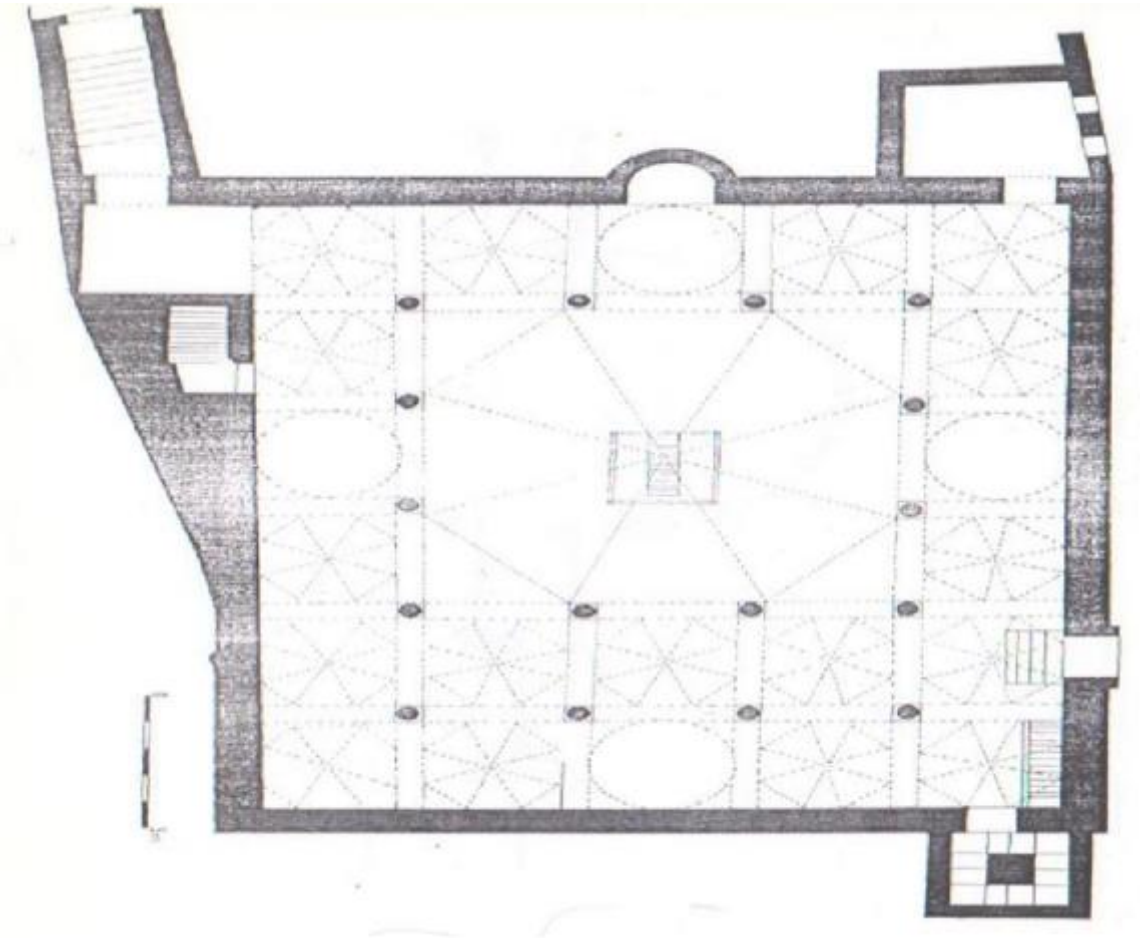

شكل رقم (2)مسقط لكتشاوة الاصلي (نقلا عن الدوكالي)

تحويل المسجد إلى كتدرائية: جاء المستدمر الفرنسي إلى الجزائربالقوة سنة 1830 م وبالقوة نفسها جاءت حركة التنصير ،فأول ماباشرت به قوات المستعمر عند احتلالها للجزائر محوكل أثار الهوية الجزائرية وهو الأمر الذي أدى إلى تهديم المعالم الإسلامية لتحل محلها معالمنصرانية ،ويعد مسجدكتشاوة أحد هذه المعالم الاسلامية التي لم تبال فرنسا في إنتهاك حرماتهالمقدسة فقد إقتحم الفرنسيون المسجد بقوتهم الغاشمة وقتلوا فيه عددًا كبيرا من المصلين ،وأمامكان المسجد فقد أقيمت بدله كتدرائية عرفت "بسان فيليب" وأقيمت فيه أول صلاة نصرانية ليلة عيد المسيح ليلة 24 ديسمبر 1832 م.

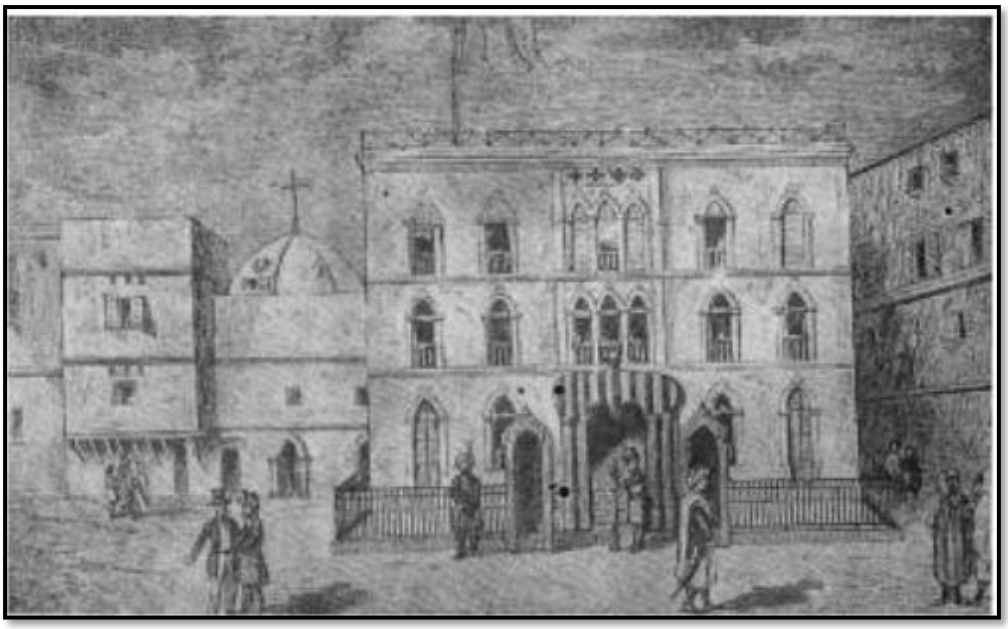

شكل رقم (3) جامع كتشاوة الذي تحول إلى كنيسة، مع وضع صليب لاتيني فوققبة الجامع القديم .(عن دليلة صهانجي)

بعد الاستلاء على الجامع تم تحويله من طرف القائد الأعلى للقوات الفرنسية الجنرال"الدوق دوروفيغو"إلى إسطبل بعد أن قام بإخراج جميع المصاحف الموجودة فيه إلى "ساحة الماعز"المجاورة على قرار تحويله الى كنيسة وهو يردد "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إلهالمسحيين ،وهو ماحصليوم 18 ديسمبر 1832م أي 5 أشهر فقط بعد إحتلال الجزئر ،وأطلق على الجامع الذيأصبح كاتدرئية اسم "القديس فيليب" .

ويذهب "ديفوكس" إلى أن السلطات الفرنسية قد أعطته إلى الديانات الكاثوليكية بعد سنوات قليلة من الإحتلال ،ويضيف أنه قد هدم تماما شيئا فشيئا نتيجة التعديلات المتوالية التيأ دخلت عليه لجعله كتدرائية وأضاف أن العرصات فقط هي التي نجت من الهدم في هذا الجامع الجميل ،وهو عمل في نظر ديفوكس كان محل أسف هواة الفن المعماري الأهلي ،وكل من تناولوصف الجامع يعترف بجماله وسعته وصحته لأن تجديده جرى قبل الإحتلال بأقل من أربعين سنة، ومع ذلك فإن الفرنسيين هم الذين يصفون المسلمين الجزائريين عندئد بالتعصب.[1]

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص ص 38-39.

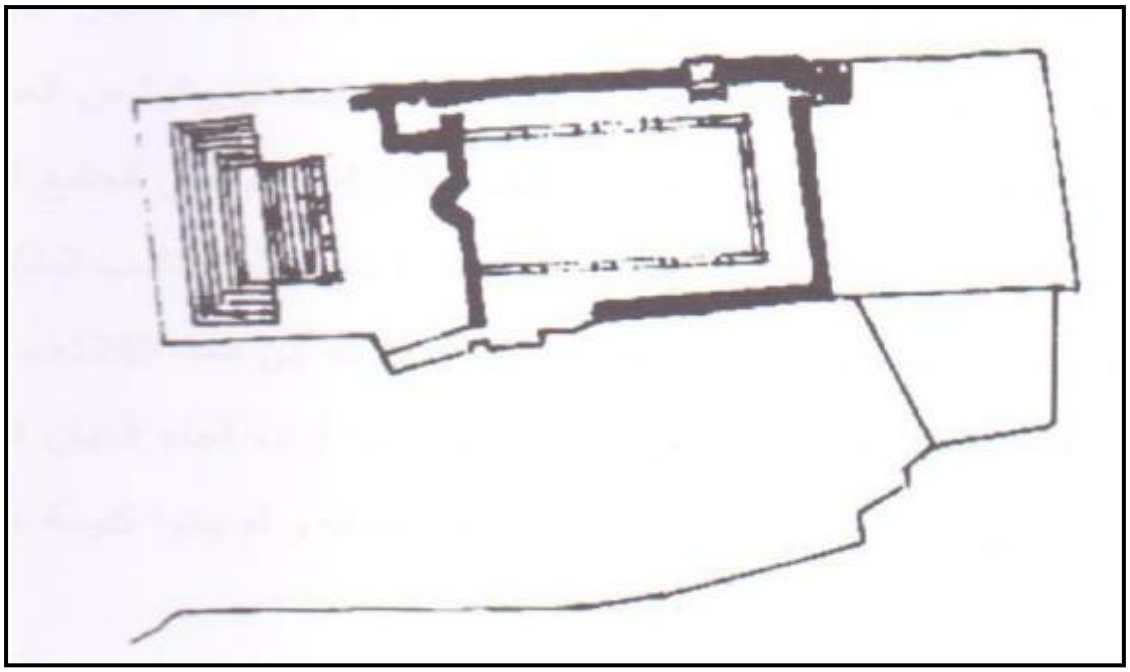

شكل رقم(4)جامع كتشاوة بعد تحويله إلى كاتيدرالية. (عن دوفو)

الدراسة المعمارية والفنية لجامع كتشاوة

الوصف الخارجي

كان جامع كتشاوة مربع الشكل ومحاطا بعدد كبير من الأسوار الرخامية الدائرية الضخمة وكان مدخله الرئيسي في شارع الديوان عكس ماهو عليه اليوم، حيث تزينه باب ضحمة خشبية صنعها أكبر فناني حرفة النجارة العاصمية آنذاك وأمين نقابة النجارين المعلم اللابلاتشي (البلاطشي)(أحمد بن البلاطي)، وزين الداي حسن الشارع المقابل للباب الرئيسية للجامع بحديقة جميلة ونافورة مياه من طراز تلك التي تزين وسط ديار وقصور القصبة،لكن لا الباب بقيت ولا الحديقة ولا النافورة صمدت أمام همجية الجرارات الفرنسية لذلكلم يبقى من كتشاوة الأصل الذي بناه بابا حسن سوى بضعة سواري رخامية وباب النجارالبلاطشي ،وهذا الباب موجود حاليا في المتحف الوطني للآثار.[1]

وكان جامع كتشاوة ذو مدخلين أحدهما أمامي مفتوح على ساحة (مال كوف) أي جنبقصر الشتاء الذي يؤوي اليوم مركز الشؤون الثقافية لوزارة التعليم الأصلي والشؤون

[1]– فوزي سعد الله، قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر، دار المعرفة، الجزائر (بدون تاريخ دون طبعة)، ص ص 41-42.

الدينية أما ثانيالمدخلين فهو خلفي من جانب نهج الديوان Rue de Divan وكانت توجد هناك ساحة صغيرةشكلها مربع منحرف تقوم من إحدى زواياها منارة الجامع , وسمي مسجد النساء لأن في داخلهأروقة كبيرة تشرف على الردهة خصصت للنساء المصليات وتسمى تلك الأروقة في الجزائر (السدة) وهي تحيط بالردهة كلها وتبلغ 65 مترا في الطول 30 في العرض.[2]

شكل رقم (5) صورة لجامع كتشاوة من الداخل قبل دخول المستعمر

(عن عقاب محمد الطيب)

الوصف الداخلي

حجرة الصلاة: التي يوجد قسم منها في الحجرات المقوسة يبلغ طولها 24 مترا وعرضها 24 مترا وهي تشملساحة مركزية مربعة طول ضلعها 11,5 م مغطاة بقبة مثمنة الأضلاع وأروقة تساير الواجهاتالأربعة في الجهة المقابلة الجدار القبلة اي رواقين وفي الزاوية الجنوبية للمسجد ترتفع المنارةالمربعة،غير أن الإحتلال الفرنسي قد غير كل هذه المعطيات،إذ أن الديانة المسيحية كانتالعماد الإيديولوجي للإحتلال.[1]

[2]- الطاهر بوشوشي ،صفحات من تاريخ جامع كتشاوة، مجلة الأصالة عدد 15/14، قسنطينة الجزائر، سنة 1973، ص ص295-296.

[1]- سعاد فويال ،المساجد الاثرية ،المساجد الاثرية لمدينة الجزائر ،دار المعرفة نالجزائر(بدون تاريخ وبدون طبعة) ص 106.

وتقوم بيت الصلاة على ستة عشرعمودًا ويوجد منها ستة محفوظة في المتحف الوطي للآثارالقديمة، كما توجد فيه سدة كالعادة في المساجد الحنفية كالجامع الجديد وجامع صفر، وقد ذكرالزياني هذه السدة فقال: " "... وأمامه كشك يجلس به المؤذنون وأهل الألحان والقراءات، ومنله وظيفة بالمسجد كالموقت والراوي لحديث الإنصات"...

القبة: وتقوم القبة الكبيرة في وسط بيت الصلاة على أربعة دعائم ضخمة تبتعد كل منها عنالأخرى 11,5 مترا وهذه الدعائم تحمل عقودا مستديرة ترتفع فوقها قبة ذات ستة أضلاع. وقدسمح إتجاه هذه العقود المختلف لحمل القبة المركزية للمسجد والتي كان يبلغ قطرها 12 مترا وهي بذلك تختلف عن الطراز المعروف في مباني الجزائر إبان العهد العثماني والمتمثل في ملئ المثلثات الركنية بشكل مائل بل عمد البناء إلى بناء تلك المثلثات بخط شاقولي، زخرفت أيضا جدرانهما بنفس الخطوط المشعة،وملئت الفراغات المتمثلة بين العقود بزخرفة الرقش العربي (الأرابيسك)ومن هنا كان شكل تلك العقود شكلا مستديرًا تماما عليه تقوم القبة المركزية للمسجد.

المحراب: دخل المحراب عمارة المساجد،وإرتبط بها ارتباطا وثيقا إلى درجة أننا لانعثر علىمسجد بدون محراب خاصة وهو العنصر الدال على إتجاه القبلة إضافة إلى تجويفه الذي يساهمفي التقليل من المساحة التي يأخدها الإمام أثناء الصلاة كما أنه مضخم لصوت الإمام أثناءقرائته في الصلاة،كما أخذ هذا العنصر المعماري سمة الشرف والسمو والرفعة ،وتنوعت مادةبنائها حيث بنيت من الحجارة تارة ومن الجص والخزف الفسيفساء والخشب تارات اخرى. وظهر في العصر العثماني أسلوب عمل المحاريب المجوفة من صفوف المقرنصات أصبح هذاالأسلوب هو السائد في عمائر هذا العصر.

المنبر: فالمنبر هو منصة من حجر أو خشب، تتسع لوقوف وجلوس الخطيب، وتقع قربالمحراب، تعلوها قبة صغيرة أو جوسق، ويصعد إلى المنبر بدرج له درابزين على جانبيه وبابمصراعين في الأسفل، تعلوه شرفات تحملها صفوف من المقرنصات ويتعامد مسقط الدرج معجدار القبلة[1].

[1]- عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية، ا لطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، 1988، ص 406.

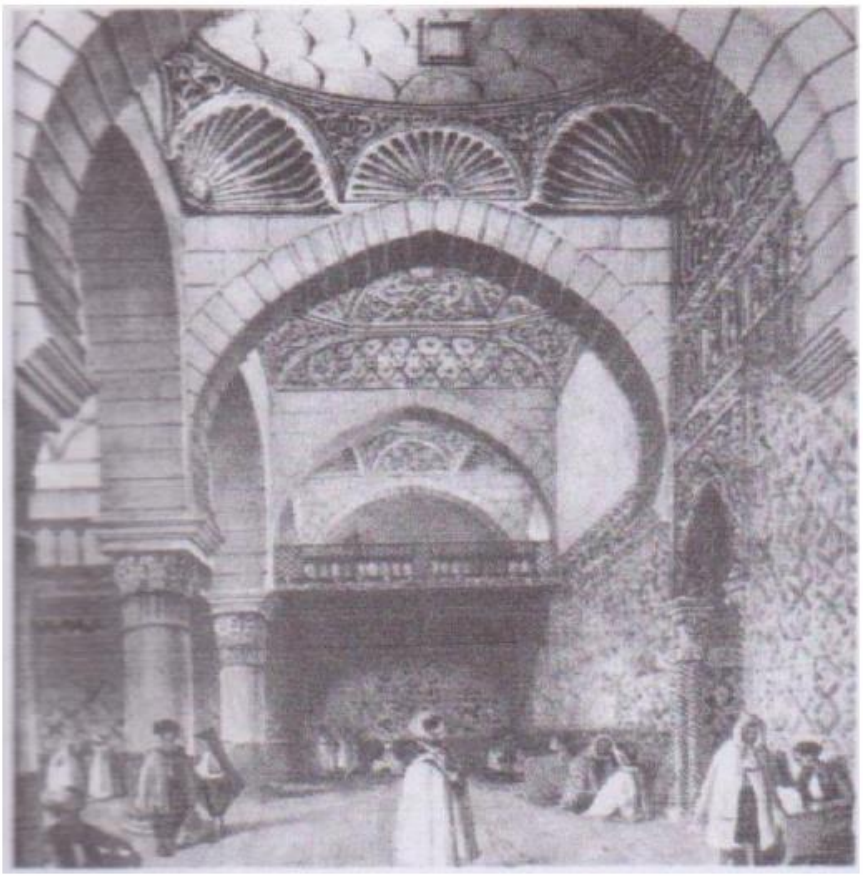

شكل رقم (6) جزء من بلاطة المحراب (عن محمد الطيب عقاب)

المئذنة: تمثل المآذن العثمانية تطورا للمآذن السلجوقية في آسيا الصغرى حيث حرصالمعماريون الأوائل في ذلك العهد على جعل المئذنة أسطوانية متوسطة الارتفاع تتكون من بدنيمتد حتى الشرفة الأولى ثم يرتفع البناء مرة اخرى دون سلم خارجي حتى تصل المئذنة إلىالارتفاع الذي راه المعماري مناسبا ثم ينهيها بمخروط ،وأغلب مآذن السلاجقة ذات بدن مستديرمنها ماهو مضلع ذو ستة أو ثمانية اضلاع تحت مظلة ،وقد تفنن المعماري في عملية التضليع وغالباما يكون لها شرفة واحدة تقع بنهايتها.[1]

[1]- بدر عبد العزيز محمد بدر، العمارة الإسلامية بقبرص (دراسة أثرية حضارية)،رسالة الدكتوراه ،اشراف أمال احمد حسن العمري،جامعة القاهرة ،قسم الاثار الاسلامية، 2007، ص 444

وأما عن المكونات العامة للمآذن العثمانية والتي أستلهم العثمانيون شكلها عن المآذن السلجوقية ونشروها في كافة البلاد التي فتحوها فقد تطورت هذه المكونات بشكل ملحوظ حيث تميزت المآذن العثمانية بالارتفاع الشديد ودقة النسب ولقد اصبحت المآذن العثمانية مند ظهورها في منتصف القرن 9 هـ/ 15 م من أهم معالم الحضارة العثمانية حتى غدت تقليدا تتميز بهو ينبغي الالتزام به. أما المئذنة التي لم يعد لها الآن أثر فقد كانت من الطراز المغربي أي على شكل مربع.

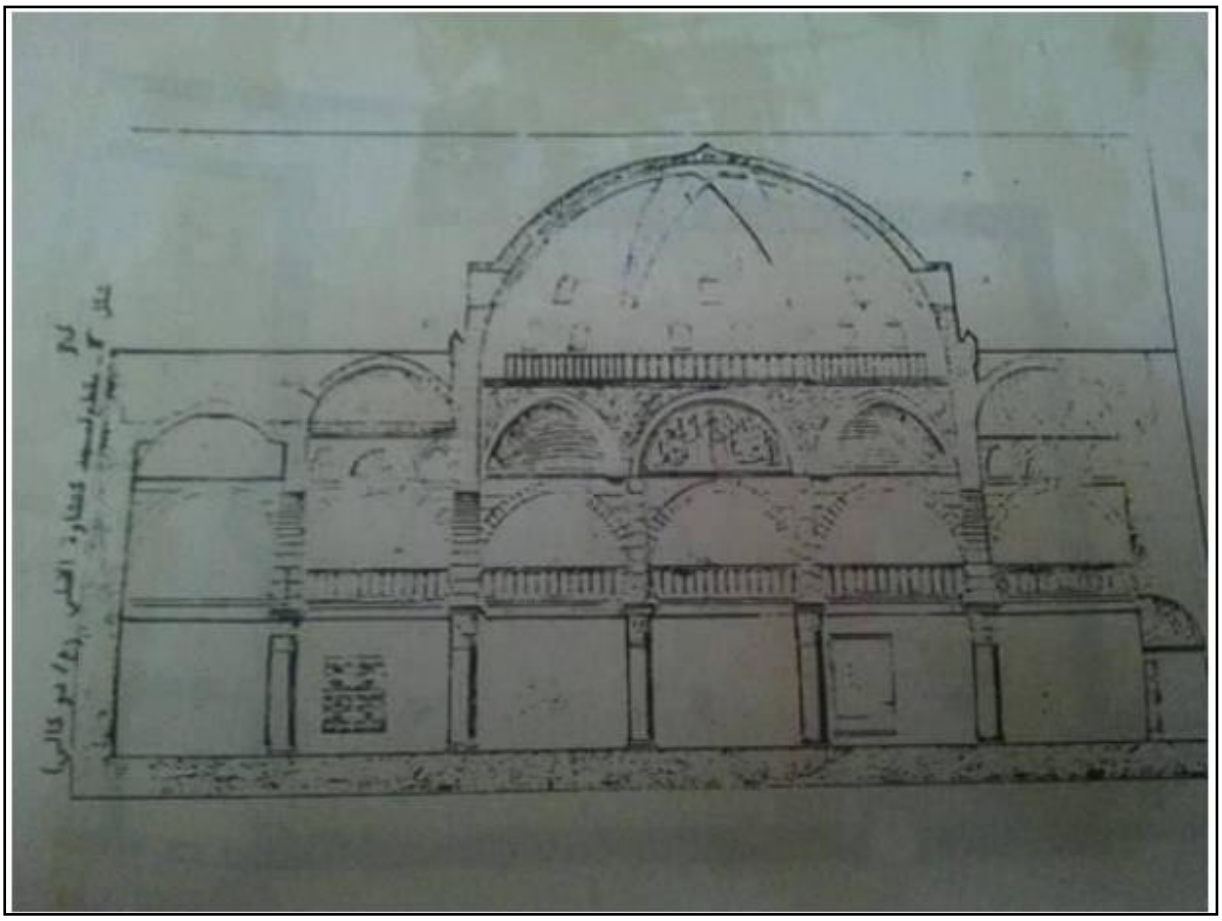

شكل رقم (7) مقطع لمسجد كتشاوة الأصلي (عن محمد عقاب طيب)

زخرفة المسجد

نعنى في هذه الناحية في كيفية استغلال العناصر الزخرفية منها الكتابية والهندسية والنباتية للمسجد

1-**العناصر النباتية:** وتقوم الزخرفة النباتية او مايسمى فن التوريق على زخارف مشكلة من اوراق النباتات المختلفة والزهور المتنوعة ،وقد هرت بأساليب متعددة من افراد ومزاوجة وتقايلوتعانق...وفي كثير من الأحيان تكون الوحدة في هذه الزخرفة مؤلفة من مجموعة من العناصرالنباتية متداخلة ومتشابكة ومتناظرة. تتكرر بصورة منتظمة.[1]وإذا ماحاولنا أن نصفالزخرفة النباتية فإنها إقتصرت على الزخرفة الرقشية المحورة عن الرقش العربي الأصلية إلىالرقش المتطور على يد الفنانين الشرقيين خاصة في الشرق الادنى والذي له تأثيرات من الطرازالأوروبي الحديث هذا ويمكن أن نضيف بأن الزخرفة النباتية التي كانت على المربعات الخزفيةالمزدانة بأزهار القرنفل في معظمها،وأوراق الخرشوف البري والمعروفة في الفن الكلاسكيبورقة الاكانتس (الاقنشة) ازهار الزنابق في بعض الأبدان المتصلة بأسافل القباب.

2-**العناصر الهندسية:**اعتمدت الزخارف الهندسية على المربع والمثلث والدائرة ل كي تكون الأساس الذي تقومعليه جميع الزخارف الهندسية واشتهرت النجمة الاسلامية المتعددة الأضلاع والمتفرغة ومانتجحولها من وحدات وتقسيمات مختلفة في المساحة ،وكذلك يعتمد في الأصل على خطوط هندسيةبسيطة ،يتضح منها إلمام الفنان المسلم بعلم الهندسة لأن الزخارف الهندسية تعتمد على قياساتدقيقة للأطوال والزوايا في الأشكال الهندسية المختلفة.

3-**العناصر الكتابية** : فيما يخص الزخرفة الكتابية فإنهاتوزعت في أماكن كثيرة من المسجد،فوق جبهة المحراب وجدران المسجد المختلفة ،وعلى أبدان الشمسيات (القمريات) المخرمة، وقدجمع كولان مجموعة لابأس بها من الايات القرآنية، وجمل

[1]- حميد حمادي ، التجربة الجمالية للفن الاسلامي بالجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 2014، ص 135.

التمني والتهليل والترحيب والتبريك.تراوحت خطوطها بين التجويد الأنيق للكتابة وبين الإعوجاج،غير انه يغلب علي الزخرفة الكتابيةنمط التلث والثلثي الجلي ،والتي مازال البعض منها في متحف الأثار القديمة بحديقة الحرية.

الخاتمة

الخاتمة :

تم التعرف على أن الزخرفة الإسلامية هي أحد أنواع الفنون الإسلامية التي اشتهرت في عصر ازدهار الدولة الإسلامية في الأندلس وقامت على أثرها ثقافات متعددة جعلتها واحدة من الفنون المميزة والفريدة والتي اهتم بها المسلمون وعملوا على تطويرها وقد تميز هذا الفن الفريد بخصائص ومميزات جعلته واحدًا من أشهر الفنون على مر العصور.

لقد عرفت المظاهر الفنية الزخرفية الجزائر خلال العهد العثماني تطورا كبيرا وزخمالم يسبق أن بلغته،نتيجة للتنوع الكبير في أشكال العناصر الزخرفية المستخدمة، والتي كاناستخدامها بالجزائر لأول مرة خلال هذه الفترة؛ وهذا الزخم مضافا إليه سيادة العناصر النباتية وكذا لأنواع هذه العناصر المستخدمة، بالخصوص الزهرية منها، هو تعبير مباشروصريح عن تأثيرات أحنبية وافدة، والتي سمحت للجزائر بدخول نطاق سيادة الفن العثمانيدون التخلي التام عن بعض المظاهر الزخرفية التي تذكرنا بانتمائها الفني المغربي، من دونأن ننسى عامل الإبداع الذي تجسد أولا حين مزج الفنان الجزائري ما بين العناصر الأجنبيةوالمغربية في اللوحة الزخرفية الواحدة، ثم حينما طورت العناصر الزخرفية المعروفة فيالفترات السابقة و أعطيت مظهرا مختلفا، غير أن السعي إلى ابتكار عناصر جديدة لا تنتمي لأي من التأثيرات الوافدة أو المحلية يبدو قليلا.

حظي الفنّ في العصور الإسلاميّة باهتمام كبير، خاصّة في المنطقة الممتدة من إسبانيا وصولاً إلى الهند؛ حيث قامت ثقافات إسلامية متعددة، وقد جاء تعبير الفنّ الإسلاميّ ليشمل كل ما أُنتِجَ فنيّاً.

شهد مسجد كتشاوة مؤخرا حركة ترميمية نشيطة جعلت منه معلما تاريخيا عتيقا،فظهرت عمارته فخمة غنية بثروة هائلة من الزخارف المعمارية على مختلف الخامات (الخزف، الجص، الرخام، الخشب، المعادن وغيرها...)، وبناء على الطرح المتسلسللموضوع، تبينت لنا هذه النتائج:

- للزخرفة دور فاعل في تأصيل هوية الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية.

- تجلي روح الزخرفة الإسلامية في مسجد كتشاوة مما يجعله موروثا حضاريا يعكس الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة فترات تشييد المسجد وكذا فترة الترميم.
- تنوع المواد المستخدمة في تنفيذ العناصر الزخرفية (الحجر والرخام والجص والخشب).
- تنوع الزخارف بين نباتية وهندسية وخطية لتحقيق ثراء جمالي على مساحاتالمسجد، واستخدام مفردات ووحدات زخرفية متنوعة زهرية وغصنية ونجمية.
- تحقيق الزخرفة للبعد الوظيفي والجمالي في آن واحد
- الزخارف المتنوعة التي تشغل المسجد لها قابلية إحداث شد بصري من حيث الشكل واللون والخامة وغيرها من المؤثرات لما تحتويه من حركة داخلية في بنية العناصر.

قائمة المراجع

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998

2-احمد إسماعيل راشد ، تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا – تونس– الجزائر– المغرب– موريتانيا)، بيروت، 2004

3-ارجمنت گوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ترجمة عبد الجميلالتميمي ، تونس منشورات الجامعة التونسية ، 1970

4-أسس العرب مدينة الجزائر سنة 935م وأسموبا الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانييا ، أما تسميتيا القديمة فكانت ايكوسيموبي تسمية فينيقية ، بيروت ، أوراق شرقية لمطباعةوالنشر والتوزيع ، 2000

5-أمير يوسف ،إسهامات الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830) مجلة الدراسات التاريخية ،كلية العلوم الانسانيةوالاجتماعية جامعة الجزائر2، العدد 14، 2012

6-إياد صقر، الفنون الإسلامية، الأردن، دار مجدالوي للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003

7-الطاهر بوشوشي ،صفحات من تاريخ جامع كتشاوة، مجلة الأصالة عدد 15/14، قسنطينة الجزائر، سنة 1973

8-الحفر: هو ضرب من الزينة تنقش فيه الرسومات والزخارف على أسطح خامات الخشب العاج والزجاج والمعدن والحجر والجص ونحوها. (عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبةمدبولي، ط1، 2000

9-بدر عبد العزيز محمد بدر، العمارة الإسلامية بقبرص (دراسة أثرية حضارية)،رسالة الدكتوراه ،اشراف أمال احمد حسن العمري،جامعة القاهرة ،قسم الاثار الاسلامية، 2007

10- حميد حمادي ، التجربة الجمالية للفن الاسلامي بالجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 2014

11- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830-1871، الجزائر، 1977

12- رشيد دوكالي، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، تر: لطيفة بورابة وشفيقة عيساني، الجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2013

13- كمال صحراوي ، الدور الدبموماسي لليبود الجزائر في أواخر عيد الدايات ، رسالة ماجستير، معيد العموم الاجتماعية والإنسانية، 2008

14- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون إلسالمية في الجزائر، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2002

15- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في الجزائر، سلسلة علوم واثار ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بنعكنون الجزائر، 1988

16- محمد عبد الله الدرايسة، عدلي محمد عبد الهادي، الزخرفة الإسلامية، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2009

17- محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني، تاريخها، دورها، و عمارتها، رسالة الماجستير في العلوم الإسلامية ،اشراف أ.د.عبد العزيز شهبي، السنة الجامعية 2015/2014.

18- ناصر الدين الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984

19- ناصر الدين سعيدوني ، موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1987

20- سعيد بوزرينة، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجيستير، إشراف بن بلة خيرة،الجزائر، 2011/2010

21- سعاد فويال ،المساجد الاثرية ،المساجد الاثرية لمدينة الجزائر ،دار المعرفة نالجزائر (بدون تاريخ وبدون طبعة)

22- عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية، ا لطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، 1988

23- شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977

24- عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق ، جامعة دمشق، 2008

25- فوزي سعد الله، قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر، دار المعرفة، الجزائر (بدون تاريخ دون طبعة)

الملاحق

مسجد كتشاوة بعد تحويله إلى كنيسة

كاتدرائية "سانت فيليب" (مسجد كتشاوة بعد تحويله إلى كنيسة من الداخل)

نماذج للزخارف النباتية للمسجد بعد الترميم

نماذج للزخارف الهندسية للمسجد بعد الترميم

نماذج للزخارف الخطية للمسجد بعد الترميم

نماذج للزخارف المختلطة للمسجد بعد الترميم

النقش على الجص

النقش على الخشب

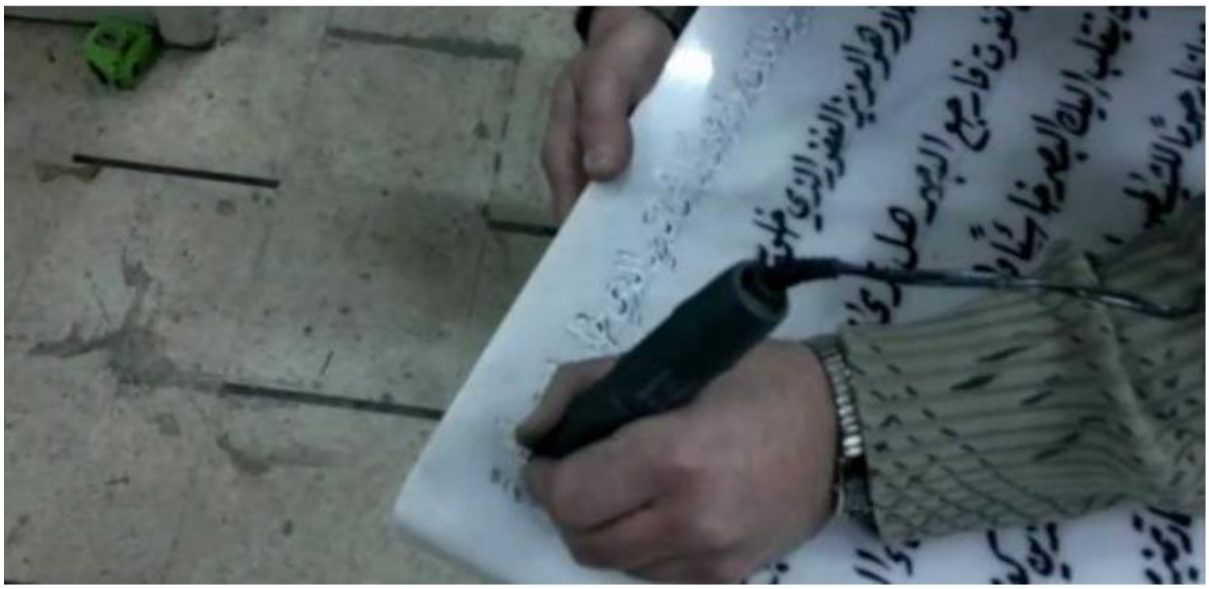

النقش على الرخام

الفهرس

اهداء	–
شكر و عرفان	–
مقدمة	أ
فصل تمهيدي : الاطار التاريخي والجغرافي الجزائر	
التواجد العثماني في الجزائر	7
الأوضاع السياسية	8
الأوضاع الاقتصادية	12
الأوضاع الاجتماعية	15
موقع الجغرافي لمدينة الجزائر	21
التاريخ	22
المناخ	22
المعالم المدينة	24
الفصل الأول : التطور التاريخي للزخارف العمائرية الاسلامية	
تعريف الزخارف العمائرية	31
خصائص الزخرفة	32
التطور التاريخي للزخارف الجصية	33
التطور التاريخي للزخارف الخشبية	35
التطور التاريخي للزخارف الرخامية	37
التطورالتاريخيالبلاطاتالخزفية	40
الفصل الثاني : جامع كتشاوة	
موقع جامع كتشاوة	42
تاريخ إنشاء الجامع	42
التجديد	43
الدراسة المعمارية والفنية لجامع كتشاوة	47
زخرفة المسجد	52
الخاتمة	55
قائمة المراجع	58

الملاحق	62
الفهرس	68